

الحركة الوهابية

ردً على مقال

للدكتور محمد البهي

في نقد الوهابية

بقلم

العلامة المحقق الدكتور محمد خليل هراس

حقَّقه وضبط نصّه وعزا آياته وخرج أحاديثه ووثق نقوله وعلق عليه

أحمد بن محمد العزيز بن محمد بن عبد الله التويجري

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد:

فإن من حق الشيخ محمد بن عبد الوهاب علينا أن ننصفه؛ لأنه لم يقل، ولم يفعل، إلا ما يستحق الإنصاف، بل والإشادة به، والدعاء له. إن الرجل - بأدب جم، وتواضع شديد، ورغبة خالصة فيما عند الله - كان يقول لنا في كل موقف: إنه لم يأت بجديد، ولم يبتدع شيئاً من عنده، وإنه متبع لا مبتدع، منطلق من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية والتقريرية، وأن مردّ كل آرائه وأقواله وأعماله إلى الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

فما بال بعض الناس يعمدون إلى ظلم هذا الرجل؟.

وأنا أحياناً أسأل - متعجباً - نفسي: لماذا يظلمونه؟.

وكيف يظلمونه؟ وما الذي يحملهم على ظلمه، ومنهجه هو منهجه الذي ألمحنا إليه؟!

أتراهم يرفضون منهج التشبث بكتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح، ويريدون منهجاً آخر يتجاوز القرآن والسنة. ويسقط عليهما

من الأهواء والانحرافات، ثم يزعمون - بعد ذلك - أن منهجهم منهج إسلامي!!.

إنه موقف يدعو إلى الحيرة.. ويبعث على البحث فيما وراء المواقف والكلمات!.

والحق: أن هذا هو الفرق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وبين خصومه هدام الله، الذين هاجموا، جهلاً بما يدعو إليه تارة، وعن علم تارة أخرى... وسواء أكان ذلك عن جهل أم عن علم، فإنه رفض لمنهجه الذي يتشبه فيه بالانقياد الكامل للكتاب والسنة، فأصحاب الأهواء والانحرافات يرفضون هذا الانقياد، حتى وإن جادلوا لكي يبقوا في دائرة الإسلام، محاربين كل من يحاول تبصيرهم بأنهم - عرفوا أو لم يعرفوا - يخرجون عن الإسلام؛ لأنهم يجعلون (العقل) مكان الوحي، و(الهوى) مكان النص، و(الضغوط العصرية) مكان الثوابت الإسلامية، ويريدون - أدركوا أو لم يدركوا - أن يدور الكتاب والسنة وراء تقلبات العصور، منقادين لا قائدين، يتكيفان وفق متقلبات الآراء والأفكار والسلوكيات، حتى ولو خرجت على نواميس الفطرة... ولا يتكيفان الحياة وفقاً لما أنزل الله.

لم يكن عمل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا الجهاد، انطلاقاً من القرآن والسنة الصحيحة؛ كي تعود أمة التوحيد إلى التوحيد؛ لأن في ضياع عقيدة التوحيد أو تشويهها أو مزجها بأوشاب الشرك وأدراجه، في

عقيدة المسلم، ضياعاً لها في العالم الإنساني كله، فلا يبقى هناك دين صحيح يكون حجة على الناس يوم القيامة!!!
وهذا مخالف لسنن الله.

وقد أحسن الشيخ العلامة الدكتور محمد خليل هراس في هذا الرد حين عرض هذه القضية على هذا النحو.

أجل: إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كل رسائله، وفي كل دروسه، وفي كل جولاته، وحتى عندما واتته الفرصة، بعد رحلة جهاد طويلة، كي يجد الدولة التي تنصره وتحمل معه رسالة التوحيد، بالكلمة والفعل، وبال دعوة والعمل، في كل ذلك كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب داعياً إلى الاحتكام لكتاب الله وسنة رسوله، وإلى عودة قيادتهما لأمة الإسلام ومجتمعات المسلمين... وكان يرى أن هذه العودة الصحيحة تتناسب العقل الصحيح، ولا تصادفه، وأنها تفتح أمام المسلمين الممزقين المختلفين ثمرات الوحدة والتقدم، بل والتفوق على الحضارات المعاصرة والمناوئة لهم، كما كان شأن أسلافهم مع هذا الدين.

وبالكلمة القوية المؤمنة المنطلقة من قلب سليم مخلص لهذا الدين زاهد في عرض الدنيا، والمنطلقة من عقل أحسن فقه الإسلام فقهاً متوازناً شاملاً، وعاش الإسلام إيماناً وعبادة وعملاً وجهاداً بالكلمة والعمل... وبهذه الكلمة، ومن هذا المنطلق، قدم الشيخ محمد بن عبد الوهاب العقيدة الإسلامية الصحيحة، إنه لم يشغل نفسه بحروب مع أحد، وعلى العكس مما يظنه الذين لا يعرفون تاريخ الشيخ، فقد ابتعد عن

أسلوب المناوأة والتناطح؛ لأن هذا الأسلوب لا يفتح القلوب ولا العقول لتقبل الحق، بل يدفعها إلى العناد والمكابرة والدفاع عن آرائها لمجرد الغلبة، فلم يجعل الشيخ همه الوحيد الحرب على أصحاب الطرق، ولا على المتعصبين لآراء المذهبية، ولا على القاعدة العريضة من الجهلة بدين الله الذين يفسدون الحياة بالمنكرات والمبازل، وهم يظنون أنفسهم صالحين، حتى وإن قطعوا طريق الحجيج، واستباحوا دماءهم وأموالهم..

ولم لا ؟ أليسوا يتقربون إلى صاحب ضريح من أجل تكفير سيئاتهم؟ أليسوا يتبركون بشجرة تكفيهم مؤونة العودة الصحيحة إلى دين الله، والاحتكام إليه، واجتناب نواهيه، والالتزام بأوامره؟!.

ومع كل ذلك، كان الشيخ واعياً حصيماً بالمنهج الصحيح للتغيير، فقد أدرك أن هذه الأنواع من الانحرافات، إنما هي ثمار ونتائج، وأن الحل لا يكمن في مقاومة الثمار الطبيعية، والنتائج المنطقية، وإنما يكمن في اقتلاع الجذور وإزالة الأسباب.

ولن يتأتى ذلك إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح:

- الإسلام بعقيدته الصافية النقية.
- والإسلام بحضارته الإنسانية الربانية الأخلاقية.
- الإسلام الذي جعل من عبدة الأصنام في مكة والمدينة وجزيرة العرب، طليعة خير أمة أخرجت للناس في مدة وجيزة تعد عجباً في مسيرة العقائد والحضارات.

ومن هنا عكف الشيخ على الجذور والبواعث، يرويهما بالتوحيد والعمل، ويدفع الناس إلى تغيير ما في نفوسهم وعقولهم حتى يغير الله أحوالهم وظروفهم، وحتى يعودوا من جديد خير أمة أخرجت للناس.

فإذا كانت العقيدة هي الأساس، فإن اتباع السلف الصالح هو الطريق، والغاية هي الدعوة لإعلاء كلمة الله بأدوات قادرة على إقناع الناس في هذا العصر، في ضوء فقه رشيد بحقائق الدعوة وأساليب تبليغها.

وهكذا فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - حقيقة الدعوة، وسبلها، وأهدافها، وطبق بسلوكه فقهه لها، فمكّن الله لدعوته في الأرض، وأصبحت هي الدعوة الإسلامية الإصلاحية الوحيدة التي قامت على أسسها دولة ناهضة تساعد جميع المسلمين في الأرض، وتقدم نموذجاً معاصراً لتطبيق شريعة الله في العصر الحديث.

ولم يقف الأمر عند هذا المستوى، بل امتدت أصول الدعوة بجهود المؤمنين بها، وعلى رأسهم قادة الدولة نفسها، إلى أرجاء الأرض امتداداً يشبه امتداد أشعة الشمس في الصباح بعد ظلام دامس.

وقد أبصر أشعة الشمس من له بصيرة وبصر، وغفل عن إبصارها من أصاب عينيه بعض العمى، واستطاع رؤية قوة دفعها من وفقه الله، فحلل الأمور تحليلاً دقيقاً محايداً.

لقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى من أبعد الناس عن التكفير والتطرف والخلو، وقد ورد في ثنايا هذا الكتاب الذي يسرني أن أقوم بتحقيقه، كثير مما يؤكد ذلك، ومنه دفاع الشيخ عن نفسه في مواجهة خصومه الذين حاولوا أن يلصقوا به تهمة تكفير

المسلمين المنحرفين ، يقول الشيخ رحمه الله : (و لا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجهم من دائرة الإسلام).

ويقول: (ومنها ما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجباً كيف يدخل هذا عقل عاقل، هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟).

ويؤكد هذا الكتاب المفيد ابتعاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى عن التشدد والتكفير والغلو، تأكيده في آداب الداعي إلى الله، على أن، الداعي لا بد أن يتحلّى بالرفق واللين تحقيقاً لقوله تعالى في مخاطبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (،،).

وفي الضوابط التي وضعها الشيخ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جعل الرفق في الصدارة من هذ الضوابط، وهو مؤشر آخر على منهج الشيخ في الدعوة، وقد حفل المنهاج التربوي للشيخ بوسائل تربوية وأخلاقية وتعليمية تؤصل المعاني الإسلامية البعيدة عن التشدد والغلو، والتي تميز به منهج الشيخ كله، دعواً كان أو تعليمياً أو تربوياً.

وقد جمع الشيخ في منهجه بين النقل والعقل، وقد يظن ظان أن المنهج السلفي طريق للجمود، والأمر عكس ذلك، فالتعصب للرأي المذهبي والابتعاد عن الوحي نقلاً أو نصاً هو الجمود بعينه، فهو يحول الرأي إلى عقيدة، والفكر إلى أصل، مع أنه اجتهاد بشري...

ويوضح الشيخ منهجه الذي يقوم على ضرورة الانطلاق من الدليل النقلي الثابت، لا على التقليد الأعمى الذي ساد الأمة الإسلامية عقوداً

طويلة، ويقوم على فتح باب الاجتهاد القائم على الدليل النقلي، مع الاحترام الكامل لأئمة المذاهب واجتهاداتهم، شريطة ألا تكون اجتهاداتهم سداً أمام اجتهادات بقية الأئمة المؤهلين في بقية العصور، يوضح الشيخ بإيجاز وحسم، معالم هذا المنهج في العبارات التالية:

(ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا: هل يجب علي أن أقبل الحق ممن جاء به، وأرد المسألة إلى الله ورسوله مقتدياً بأهل العلم، وأنتحل آراء بعضهم من غير حجة، وأزعم أن الصواب في قوله، فأنت على هذا الثاني، وهو الذي ذمه الله وسماه شركاً، وهو اتخاذ العلماء أرباباً، وأنا على الأول أدعو إليه وأناظر عليه).

والمنهج نفسه طبقه الشيخ في تعامله مع قضايا المذهب الحنبلي الذي يأخذ بأرائه، ويلتزم في حدود ارتباطها بالنص ارتباطاً جازماً، أما إذا ظهرت عدة آراء داخل المذهب فيما لو وجدوا روايتين مختلفتين عن الإمام أحمد، أو أقوالاً لأصحابه مختلفة، فيجيب الشيخ قائلاً:

(إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، فنقول في محل النزاع: الترد إلى الله ورسوله، لا إلى كلام أحمد، ولا إلى كلام أصحابه، وقولك إذا استدل كل منهما بدليل، فالدلائل الصحيحة لا تتناقض، بل يصدق بعضها بعضاً، لكن قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل: إما استدل بحديث لا يصح، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً).

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجتهداً في مذهب الإمام أحمد، راداً إلى الكتاب والسنة، ومع ذلك يرميه الجامدون

بالجمود، وكان يؤمن بصلاحية الوحي لمواجهة كل العصور، ويثق في أن هذا القرآن دائماً يهدي للتي هي أقوم، وأن عقولنا يجب أن تسير في فلكه، لا أن يسير الوحي في فلكها، وقد عجز خصومه عن الارتفاع إلى هذا المستوى، فشغبوا عليه، شأن العاجزين وأصحاب الأهواء والمصالح في كل العصور، ولم يحاربهم مع ذلك، لكنهم حاربوه، ولم يحاول طردهم من ديارهم، لكنهم طاردوه، وجعلوه ينتقل من مكان إلى مكان يبحث عن الملجأ كما يبحث عن الرجل العظيم، الذي يكون ممكناً في الدنيا؛ ليضم الدين إلى دنياه، ويُقوِّم دنياه بدينه، ويحمي الدعوة وأصولها ورجالها، فلما وجده وعرف الصدق في كلامه، وقف بجانبه ووراءه، وبشره بالملك الذي تحقق فعلاً على نحو لم يكن متصوراً من قبل، ومع ذلك لم يطلب لنفسه ملكاً ولا شراكة في الملك، ولم يرغب إلا فيما عند الله.

كان سلوكه - بشهادة الجميع - تطبيقاً لعلمه، ومع ذلك فما زال هناك من لا يتقون الله فيه، كما أنه ما زال هناك من لا يتقون الله في أعراض الأنبياء والصحابة، فكيف بالدعاة والمصلحين!! وعندما تبنى آل سعود الكرام بدءاً من الإمام المجاهد محمد بن سعود - رحمه الله - الدعوة، وجعلوها قضية وجودهم، كان الشيخ رحمه الله سعيداً، وهو يشعر بأنه جندي بارز في دولة التوحيد، ولم تأخذه العزة بالإثم، ولم يشغب كما يشغب رجال الدنيا، وأدعياء النعرات والأيدلوجيات، ولم يتهارش كما يفعل بعض الدعاة للأسف تهارش الديكة؛ من أجل الحفاظ على وضع متميز مادياً ومعنوياً، بل لعله كان أسعد الناس، وهو يتفرغ لما نذر حياته له، وهي الدعوة، وكانت

سعادته أبلغ، وهو يرى الدولة التي بايع إمامها تنمو سعداً، بينما كانت الدعوة الإصلاحية تتجاوز الجزيرة العربية، وتمشي مع الهواء لتصل إلى آفاق لم تكن لديه وسائل لتوصيلها، لكنها كلمة التوحيد الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فتضيء الطريق للباحثين عن الحق، وتقض مضاجع المنحرفين الذين ييغون عوجاً.

ومات الشيخ قرير العين رحمه الله تعالى.

وبذل الخصوم جهوداً ضخمة وحروباً دامية، وهزموا الدولة مؤقتاً، لكنها انبعثت بالدعوة من جديد؛ لأن دولة العقيدة لا تموت، ولأن إشعاعات التوحيد والسنة لا تقضي عليها السيوف والمدافع، ولا سيما إذا كانت العقيدة نابعة من وحي الله، تقوم على الحق، وتهدى إلى الحق.

ولقد فوجئ الناس برجل مجرد من القوة المادية، في ظروف تكاد تكون معقدة ومن خلال ستين رجلاً لا غير، يتقدم بالعقيد السلفية، فيقيم دولة التوحيد من جديد، ويوحد الجزيرة العربية بالإسلام، ويبدأ من خلال عشرات الوسائل في نشر الدعوة، فتصل - برجال الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله إلى آفاق الأرض، ولا تكاد مدينة في العالم الآن إلا وفيها عشرات المساجد والمراكز الإسلامية.

وقد وصل المصحف إلى كل البلاد، وظهرت ترجماته الصحيحة المعتمدة بمعظم اللغات الحية.

إنها الكلمة المخلصة التي تنتشر بعون الله وتوفيقه، على الرغم من كل العقبات، في كل أرجاء الأرض، لتقيم الحجة على الناس، وحتى تكون كلمة الله هي العليا.

هذه الدعوة السلفية- وسامح الله من يطلق عليها مصطلح الوهابية - مع التزامها بالقرآن والسنة الصحيحة ومنهج السلف الصالح، ووضعها لهما في المكان الأول، وانطلاقها العقدي والاجتهادي منهما، هذه الدعوة مع ذلك، كانت الأقرب إلى الاجتهاد، وتحريك العقل المسلم، وإبعاده عن مجال التعصب للمذهبية أو للمسلمات الموروثة التي لا أصل لها في دين الله.

لاشك أن الواقع والمشاهد في المملكة العربية السعودية اليوم، بكل ما يعكسه من تطور اقتصادي وزراعي وصناعي وتجاري داخلي وخارجي، ومن تطور علمي، على مستوى المدارس والمعاهد والجامعات والمراكز البحثية، والمنجزات الحضارية العلمية الأخرى.

هذا الواقع المشاهد خير دليل على قدرة الدعوة السلفية الموصولة بكتاب الله وسنة رسوله على التعامل مع كل العصور، وعلى إثبات أن الإسلام يُصلح كل زمان ومكان، بل إن الفقه السلفي الرشيد يرى أن منجزات الحضارة الإيجابية إنما هي فروض كفاية، كان من الواجب أن يكون المسلمون الأسبق إليها، وبعضها فروض عين، مما يمثل حاجات ملحة للمسلمين، سواء لوجودهم، أم للدفاع عن دينهم وأمتهم وأوطانهم الإسلامية.

وأنا أعتقد أن الشيخ الدكتور محمد خليل هراس رحمه الله تعالى إنما كتب هذا الكتاب، خطاباً لكل الناس، ورسالة تعريف وود لجميع المسلمين.

هو خطاب للمثقف المسلم، وكل مسلم، تعريفاً بدعوة طالما ظلمها أعداؤها، وبرجل له جهد عظيم طالما غمطه الغامطون، وقد آن أن يعرف المسلمون الحق، وأن يزنوا به الأقوال والرجال، وأن يلتقوا بالتالي على الموازين الثابتة العادلة في دينهم لإنصاف الرجال، لا لأن دينهم دين يفرض عليهم ذلك فحسب، بل لأن النظم الدولية التي تسعى لاستئصالهم جميعاً تحتم عليهم ذلك من جانب آخر.

جزى الله الشيخ الدكتور محمد خليل هراس رحمه الله تعالى، العالم والمحقق، خير الجزاء، وبارك الله في جهوده المخلصة، وجعلها في ميزان حسناته بمنه وجوده وإحسانه.
وسلام على عباده الذين اصطفى.

المحقق

أحمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله التويجري

الرياض ص.ب ٩٤٦٩٣

الرمز البريدي: ١١٦١٤

جوال: ٠٥٠٤٨٩٢٧٩٠

ترجمة المؤلف:

- هو الشيخ العلامة المحقق - محمد خليل هراس - رحمه الله
- نائب رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية سابقاً
- من محافظة الغربية بجمهورية مصر العربية.
- ولد بقرية الشين - مركز قطور - محافظة الغربية (طنطا) - بمصر عام (١٩١٦م)، وتخرَّج من الأزهر في الأربعينيات من كلية أصول الدين، وحاز على الشهادة العالمية العالية (الدكتوراه) في التوحيد والمنطق.
- عمل أستاذاً بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر.
- أعيير إلى المملكة العربية السعودية، ودرَّس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ثم أعيير مرة أخرى، وأصبح رئيساً لشعبة العقيدة في قسم الدراسات العليا في (كلية الشريعة سابقاً / جامعة أم القرى حالياً) بمكة المكرمة.
- عاد إلى مصر، وشغل منصب نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، ثم الرئيس العام لها بالقاهرة.
- وفي عام (١٩٧٣م) - قبل وفاته بسنتين - اشترك مع الدكتور عبدالفتاح سلامة في تأسيس جماعة الدعوة الإسلامية في محافظة الغربية، وكان أول رئيس لها.
- توفي رحمه الله تعالى عام (١٩٧٥م) عن عمر يناهز الستين.

- كان رحمه الله سلفي العقيدة، شديداً في الحق، قوي الحجة والبيان، أفنى حياته في التعليم والتأليف ونشر السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة.
- له مؤلفات عدة منها:
- (١) تحقيق كتاب (المغني) لابن قدامة، وقد طبع لأول مرة في مطبعة الإمام بمصر.
- (٢) تحقيق وتعليق على كتاب (التوحيد) لابن خزيمة.
- (٣) تحقيق وتعليق على كتاب (الأموال) لأبي عبيد القاسم بن سلام.
- (٤) تحقيق ونقد كتاب (الخصائص الكبرى) للسيوطي.
- (٥) تحقيق وتعليق على كتاب (السيرة النبوية) لابن هشام.
- (٦) شرح (القصيدة النونية) لابن القيم في مجلدين.
- (٧) تأليف كتاب (ابن تيمية ونقده لمسالك المتكلمين في مسائل الإلهيات).
- (٨) شرح (العقيدة الواسطية) لابن تيمية.
- (٩) الحركة الوهابية رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية.



من مطبوعات الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة ١٣٩٦ هـ

- ١٠ -

الحركة الوهابية

ردُّ على مقال
للدكتور محمد البهي
في نقد الوهابية

بِقلم
الدكتور محمد فهد هراس

طبع في
مؤسسة مطبعة للطباعة والإسلام

صورة غلاف الكتاب

مقدمة

لأستاذنا الدكتور محمد البهي كتيب نشرته «دار الفكر»
بيروت ، عالج فيه الفكر الإسلامي في تطوره وتبعه في أدواره
المختلفة بين الصعود والهبوط ، وبين الحركة والجمود .

وقد عقد في هذا الكتيب فصلاً عن الحركة الوهابية ،
باعتبارها امتداداً للحركة الدينية الإصلاحية التي قام بها في القرن
الثامن الهجري شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

وقد ملأ الدكتور الكبير مقاله عن الوهابية بمزاعم لا تتفق
مع الحق ، ولا سند لها من الواقع ، وتقدّمها نقداً جانب فيه
الإنصاف ، ولم يراع فيه موازين البحث العلمي .

الصفحة الأولى من الكتاب

الحركة الوهابية بين المجال النظري والتطبيق العملي

الرجوع إلى الحق خير من التادي في الباطل :

وبعد فهذا مقال الدكتور محمد البهي عن الوهابية .
ويؤسفني أن أقول إنه لم يصب ولم يوفق في شيء مما قاله ،
وإنما كان يبدو مدفوعاً إلى كتابته ، وكان التحامل هو الطابع العام
للمقال من أوله إلى آخره .
ولقد أساء الدكتور بهذا المقال إلى نفسه أولاً حيث ورطها
في أخطاء ظاهرة الشناعة ، ثم أساء إلى الحقيقة في نفسها حيث
ظلمها وتجنى عليها .
فهل للدكتور - في ضوء تعقبنا على مقاله - أن يراجع نفسه
ويرجع عما قاله عملاً بالمثل القائل إن الرجوع إلى الحق خير من
التادي في الباطل . هذا ما نرجوه .
والله نسأل أن يهدينا جميعاً سبيل الحق والإنصاف . وأن
يعيدنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، إنه ولي التوفيق .

د . محمد خليل هراس

رئيس قسم المقيدة بالدراسات العليا
بكلية الشريعة بمكة المكرمة

مقدمة

لأستاذنا الدكتور محمد البهي^(١) كتيب نشرته " دار الفكر " ببيروت، عالج فيه الفكر الإسلامي في تطوره وتتبعه في أدواره المختلفة بين الصعود والهبوط، وبين الحركة والجمود.

وقد عقد في هذا الكتيب فصلاً عن الحركة الوهابية، باعتبارها امتداداً للحركة الدينية الإصلاحية التي قام بها في القرن الثامن الهجري شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وقد ملأ الدكتور الكبير مقاله عن الوهابية بمزاعم لا تتفق مع الحق، ولا سند لها من الواقع، ونقدها نقداً جانب فيه الإنصاف، ولم يراع فيه موازين البحث العلمي.

ومعلوم أن النقد النزيه لأي أمر من الأمور، هو الذي لا يغط الحسنة بقدر ما لا يغفل السيئات، ولكن دكتورنا لم يذكر لهذه الحركة المباركة ولا حسنة واحدة، بل كل ما ورد في مقاله عيوب ومثالب، وإلقاء التهم جزافاً بلا حساب، مما يوحي بأنه كان واقعاً تحت تأثير عوامل معينة.

نعم، إن الذي يقرأ النقد الموجه من الدكتور البهي للحركة، ثم يوازن بينه وبين المبادئ الذاتية لتلك الحركة، وما قامت به في الماضي ولا

(١) هو الدكتور محمد كامل البهي، من الوزراء المصريين. ولد بمصر، وتخرج بالأزهر، ثم التحق بالجامعات الألمانية، وتأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني. عاد إلى بلده مدرساً في كلية أصول الدين. وتولى وزارة الأوقاف، له العديد من المؤلفات. وكانت له جهود فيما يسمى بتطوير الأزهر. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣ هـ. انظر مشكوراً: موسوعة أعلام مصر ص ٤٠١، ومئة شخصية مصرية ص ٢٠٥-٢٠٧.

تزال تقوم به من إصلاحات ضخمة في مجالي العقيدة والعمل، يعجب للمصادر التي اعتمد عليها الدكتور في نقده، بحيث لا يداخله أدنى شك في أنه استقى ذلك مما كتبه أعداء الحركة عنها.

وعهدنا بالدكتور الكبير أنه يسلك دائماً في كل ما يكتبه سبيل التحقيق العلمي، ويلتزم جانب الدقة والتمحيص، وقد تعلمنا منه ذلك أثناء تتلمذنا له في مادة الفلسفة الإسلامية بالدارسات العليا بكلية أصول الدين إحدى كليات الجامعة الأزهرية. وكان لي أنا شخصياً شرف إشرافه على رسالتي التي حصلت بها على العالمية من درجة أستاذ وكانت بعنوان: "ابن تيمية السلفي".

ولكنه في هذا الفصل من كتابه خالف معهوده، فألقى القول على عواهنه، من غير تثبيت ولا تحقيق.

ونستأذن أستاذنا الكبير أن نناقش ما كتبه عن تلك الحركة قضية قضية، فإنه مهما كان عزيزاً علينا وحبیباً إلى قلوبنا، فإن الحق أثر عندنا حتى من نفوسنا، وقديماً ناقش أرسطو فلسفة أستاذه أفلاطون، وقال في ذلك كلمته المشهورة:

" أفلاطون صديق، والحق صديق، ولكن الحق أثر لدينا من أفلاطون". (١)

(١) ومن هذا المنطلق قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في شرحه لمنازل السائرين للإمام الهروي وفي أثناء تعقبه لبعض أخطائه رحمه الله: (شيخ الإسلام حبيب إلينا والحق أحب إلينا منه. وكل ما عدا المعصوم فمأخوذ من قوله ومتروك. ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ثم نبين ما فيه). انظر مشكوراً "مدارج السالكين بين منازل" إياك نعبد وإياك نستعين" (١٥/١).

أسس الحركة الوهابية

نشأة الحركة الوهابية:

لقد خصص سعادته الفصل الرابع والأخير من كتابه "الفكر الإسلامي في تطوره"^(١) للكلام عن الحركة الوهابية، فأرخ لها من جانبين:

الأول: من جانب الأحداث السياسية وصلتها بالحكومة القائمة على رعايتها.

الثاني: من جهة أنها حركة دينية ترسمت حركة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ثم قال: "والذي يهمنا من حركة محمد بن عبد الوهاب هو الجانب الثاني بالذات"^(٢).

ثم قدم ترجمة مختصرة لمؤسس الدعوة - رحمه الله - فذكر رحلاته في طلب العلم إلى معظم العواصم الإسلامية مثل مكة والمدينة في الحجاز، والأحساء في منطقة الخليج العربي، والبصرة وبغداد فيما بين النهرين، ودمشق في سوريا، وأصفهان وقم في إيران، وذكر أنه أقام في هذه الأخيرة مدة تزيد على اثني عشر عاماً قضاها في الدرس والتعلم، وأنه بهذه الرحلة الطويلة ضم معرفة تجريبية واقعية عن

(١) وقد طبع هذا الكتاب طبعتين: الأولى في دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م. والطبعة الثانية في مكتبة وهبة بمصر سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. وعدد صفحات الكتاب أحد عشر ومئة صفحة، تحدث في الفصل الأول: عن تفويم الفكر الإسلامي في مرحلته الأولى. والفصل الثاني: التفكير لإعادة بناء المجتمع الإسلامي. والفصل الثالث: عن ابن تيمية. والفصل الرابع: عن محمد بن عبد الوهاب. والفصل الخامس: عن الحركة السنوسية.

(٢) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٧٥.

الإسلام والمذاهب الإسلامية^(١)، وأن شأنه في ذلك شأن أستاذه ابن تيمية من قبل وشأن أصحاب الحركات الإسلامية التي جاءت بعده، وأنه لما عاد إلى بلدته "العيينة" صمم على الجهر بدعوته فجهر بها، ولكنه صادف معارضة شديدة، فرحل من العيينة إلى "الدرعية" في شمال الرياض حيث يقيم الأمير محمد بن سعود الذي رحب به وأظله بحمايته، وهناك تعاهد الشيخ والأمير على أن يبقى الشيخ في مقر الأسرة السعودية، وفي مقابل ذلك يناصر الأمير دعوة الشيخ بقوة السلطان.

وظل الأمر على ذلك إلى أن توفي الشيخ رحمه الله في سنة ١٧٩٢م. وبعد وفاة الشيخ والأمير تعاهد أبناء الأسرتين بالاستمرار في تنفيذ اتفاق والديهما، ولم يزل الوضع في صلة الدعوة الوهابية بالحكومة السعودية على ما كان عليه حتى الوقت الحاضر.

ثم يقول سعادته: " وبهذا التعاهد اجتمع لهذه الدعوة سلطان الحاكم وقوة الإيمان بها، وقلما اجتمع الأمران في حركة دينية، بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين سوى هذه الحركة، ومن هنا كان يؤمل كثيراً في نشاط هذه الحركة"^(٢)

ثم أرخ سعادته بعد ذلك الجانب السياسي لهذه الحركة، فبين كيف أفادت من اتساع حكم السعوديين وازدياد نفوذهم في شبه الجزيرة

(١) الصحيح المؤكد أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لم يرحل لطلب العلم إلى بغداد ودمشق وأصفهان وقم، بل إن المجمع عليه هو ذهابه إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية والأحساء والبصرة. وهذا دليل على قصور الدكتور البهي في معرفة إمام الدعوة وأنه أخذ أغلب معلوماته عن الدعوة من المخالفين لها.

(٢) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٧٧.

العربية، حتى دخلت مكة والمدينة مع الفتح السعودي للحجاز، وبذلك تهيأت لها الفرصة في موسم الحج لشرح أسسها ونشر تعاليمها. فانتشرت الدعوة عن طريق هذه اللقاءات التي كانت تتم بمكة والمدينة في موسم الحج، حتى وصلت إلى الهند وأندونيسيا شرقاً، وإلى السودان والشمال الأفريقي غرباً.

ثم تحدث عن اتساع نفوذ السعوديين خارج شبه الجزيرة العربية حتى وصل عمان وزبيد في جنوبي اليمن، ووصل إلى قلب العراق وضواحي دمشق، مما أزعج الخليفة التركي في الإستانة، وأثار مخاوفه، فكلف واليه بمصر "محمد علي باشا" بحرب السعوديين وردهم إلى مقر ولايتهم الأولى.

ثم يقول سعادته: "ولكن ما لبث النفوذ السعودي أن عاد بالتدريج إلى قوته، وإلى سيطرته نهائياً على نجد والحجاز على نحو الوضع القائم منذ سنة ١٩٢٥م^(١)".

الحركة الوهابية تدعو إلى توكيد التوحيد:

ثم يبدأ الحديث عن الوهابية، كحركة دينية إصلاحية، فيرجع أسس الدعوة الوهابية إلى ثلاثة أنواع:

الأول: فيما يتصل بالأصول وهي العقيدة.

وهنا يقول: "فإنها تدعو إلى توكيد التوحيد ونفي الشرك، بحيث تقصر العبادة على الله وحده".

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٧٩.

وهذا كلام جميل وتصوير صادق مجمل، لهدف الدعوة في هذه الناحية من التوحيد، أعني توحيد الإلهية الذي يقوم على إخلاص الدين لله، والتوجه إليه وحده بجميع أنواع العبادات، ولهذا كان هدف الدعوة الأول هو القضاء على كل ما ينافي هذا التوحيد من مظاهر الشرك والوثنية التي كانت قد استشرت في العالم الإسلامي كله، واتخذت صوراً متعددة، كعبادة الموتى، والاستعانة بأصحاب الأضرحة، وتقديم النذور والقرايين لهم، والتبرك بالأحجار والأشجار والمغارات، والاعتقاد في السحر والتنجيم والعرافة وأنواع الشعوذة.

فجدت الدعوة في القضاء على ذلك كله، بإزالة ما كان الناس يفتنون به من القبور والحجارة، ثم ببيان حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وبيان الأمور المنافية له.

وكان كتاب "التوحيد" الذي ألفه مؤسس الحركة رحمه الله، يعتبر في ذلك الوقت دستوراً لدعاة الحركة يعلمونه الناس ويشرحون لهم فصوله ومسائله.

ثم يعقب الدكتور على ما تقدم بقوله: "وبفهم من معنى القداسة والعبادة كل معنى يقوم على الاحترام ولو كان بحكم الإلف والعادة"^(١).

يعني بذلك سعادته أن الوهابيين قد اشتطوا في تحديد مفهوم العبادة، فأدخلوا فيه ما كان من الاحترام والتقدير قائماً على الإلف والعادة.

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨١.

ولم نسمع قبل اليوم أن الإلف والعادة يجعلان عبادة غير الله مشروعة وسائغة، فإذا كان الناس قد ألفوا أن يقيموا القباب على أضرحة الموتى، وأن يستغيثوا بهم في الملمات ويدعوهم لقضاء الحاجات، ويتملقونهم بالنذور والقربانات، وأن يقفوا أمام مقاصيرهم خاشعين، وينادوهم متوسلين متذللين، فذلك شيء لا ضير فيه ولا ينافي توحيد العبادة- في نظر دكتورنا- لأنه من قبيل الإلف والعادة.

ولو صح منطق الدكتور في الإغضاء عن كل ما يفعل بطريق الإلف والعادة، لما كان هناك داع لإرسال الرسل، فإن أمهم إنما كانت تفعل ما تفعل من ألوان الشرك والمعاصي على سبيل الإلف والعادة، وكذلك المشركون من العرب الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقاتلتهم، ونزل القرآن بدمهم، وتوعدهم بالنار المؤبدة، ما كانوا يزاولون أعمالهم الشركية، من تقديم النذور ونحر الذبائح ومن الطواف والدعاء، إلا على جهة الإلف والعادة. ولهذا حكى القرآن عنهم أنهم كانوا إذا نهوا عن ذلك قالوا: { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ } (الزخرف: ٢٣).

الحركة الوهابية تدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة:

ثم يقول سعادته: " فبناء القبور على وجه الأرض، وزيارتها في انتظام، والوقوف عندها في خشوع، ليست منافذ ينفذ منها الإنسان إلى الشرك وعدم التوحيد بل هي شرك على الحقيقة"^(١).

وهذا كلام عار عن الصحة، بل هو تجن على الحقيقة، ولا ينم إلى عن رغبة في التشويه والتشهير، فإن الذي تعتبره الدعوة شركاً على الحقيقة ليس هو بناء القبور على وجه الأرض ولا زيارتها في انتظام الخ.. بل هو ما يرتكب أثناء الزيارة لهذه القباب، من دعاء صاحب القبر والاستعانة به، وطلب الحاجات واستمداد البركات منه، ثم وضع النذور في صندوقه، وسوق الذبائح إلى ساحته والإهلال عليها باسمه، إلى غير ذلك مما لا يشك مسلم في أنه شرك صريح.

وأما ما ذكره الدكتور من بناء القبور وإشرافها وإقامة القباب عليها واعتياد زيارتها الخ.. فهو وإن لم يكن شركاً لكنه ذريعة إلى الشرك، لأنه يفضي إلى تعظيم هذه القبور وعبادتها، ولهذا حرمه الإسلام وأوجب تسوية القبور بالأرض، ونهى عن إشرافها وتجسيصها، واتخاذ المساجد والسرج عليها، كما في الحديث الذي رواه أصحاب السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما: " لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ".^(٢)

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨١.
(٢) انظر مشكوراً: أبو داود ح (٣٢٣٦) والنسائي (٩٥/٤) والترمذي ح (٣٢٠) وابن ماجه ح (١٥٧٥) وهو حديث صحيح.

وقد روى مسلم عن أبي الهياج الأسيدي أن علياً رضي الله عنه قال له : " أَلَا أُبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَدْعَ قَبْرًا مَشْرُفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ وَلَا صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا" (١) .

ولو لم تقم الدعوة الوهابية بهدم القبور المشرفة وتسويتها تطبيقاً لهذه المبادئ الإسلامية، بعد أن مكن الله لها في أرض الحجاز، لكانت - لا قدر الله - خائنة لهذه المبادئ، ولكانت دعوة نظر وكلام فقط.

ومن العجيب أنه في الوقت الذي يشجب فيه الدكتور ومن وراءه من القبوريين، الحركة الوهابية، وينعتونها بالتشدد، يلومها أنصار التوحيد الحق على الإسراف في التسامح، حين يرون بعض البدع الشركية لا تزال ترتكب عند الحرمين الشريفين، من جانب هؤلاء الذين عايشوا هذه البدع قروناً طويلة قبل أن يظلل الحكم السعودي على الحجاز براءة التوحيد المباركة، ولكن الدعوة دائماً تؤثر جانب اللين، وتدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى تقطع الطريق على خصومها الذين يرمونها بالترمت والجفاء.

الحيطة الواجبة لأعظم أصل في الإسلام:

ثم يقول سعادته: " وهنا في هذا المبالغة يكمن عامل الفرقة بينهم وبين بقية المسلمين، فبينما هم يرون أنفسهم موحدين وأهل توحيد، ويرون غيرهم ممن لا يسلك سبيلهم في المبالغة مشركين، إذا بغيرهم ينظرون إليهم على أنهم أهل تشدد وتزمت، وأصحاب ضيق في الأفق والفهم لهذا الأصل الإسلامي وهو أصل التوحيد" (٢) .

(١) انظر مشكوراً: صحيح مسلم ح (٩٦٩).

(٢) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨١.

والكلام هنا مع الدكتور في تحديد المبالغة التي يكمن فيها عامل الفرقة بين الوهابيين وغيرهم من المسلمين، فهل إذا قامت الوهابية بتنفيذ ما أمر به الشرع من هدم القبور وتسويتها صيانة لجانب التوحيد، ودفاعاً عن حماه المقدس، يعتبر ذلك مبالغة منها تستحق عليها أن ترمى بالتشدد والتزمت، وتعد خارجة على بقية المسلمين؟

ألا يذكر الدكتور أنه درس فيما درس من أصول الفقه قاعدة تسمى: " سد الذرائع" تقول إن كل ما يفضي إلى محرم هو محرم مثله".

ومن أجل هذه القاعدة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ المساجد على القبور^(١)، لما أن ذلك قد يكون ذريعة إلى تعظيمها وعبادتها.

ونهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها^(٢)، لما في ذلك من التشبه بعبادها الذين يتحرون السجود لها في هذه الأوقات.

ونهى كذلك عن شد الرحال إلى مكان ما من الأمكنة بقصد التعبد والصلاة فيه، إلا إلى أحد المساجد الثلاثة الكبار: " المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى"^(٣).

ونهى أن يقوم الناس بعضهم لبعض على جهة التعظيم^(٤).

(١) انظر مشكوراً: الحديث السابق عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) انظر مشكوراً: صحيح البخاري ح(٥٨١) وصحيح مسلم ح(٨٢٦).
(٣) انظر مشكوراً: صحيح البخاري ح(١١٩٧) وصحيح مسلم ح(٨٢٧).
(٤) انظر مشكوراً: البخاري في الأدب المفرد ح(٩٧٧) وأبو داود ح(٥٢٢٩) والترمذي ح(١٢٥/٢) وهو حديث صحيح.

ونهى أصحابه عن الغلو فيه والمبالغة في مدحه فقال: " لا تُظُرُونِي
كَمَا أَطْرَبَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ" (١).

ونهى عن اتخاذ قبره عيداً وقال: " صَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ
تَبْلُغُنِي ". (٢)

وقال للرجل الذي قال له: " مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتِ " : " أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدَاءً؟ بَلِ
مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ ". (٣)

ومن أجل سد الذرائع أيضاً، أمر عمر رضي الله عنه بقطع شجرة
الرضوان التي بايع الصحابة تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
الحديبية.

وقال مرة وهو يستلم الحجر الأسود: " إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجْرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا
تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُكَ مَا قَبَلْتُكَ "
(٤).

وعزل خالد بن الوليد من قيادة جيش المسلمين في الروم، في وقت
كانت الآمال كلها معلقة به ليتم ما بدأه من الانتصارات على الروم،
لأنه خشى أن يفتتن الناس به.

فهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله من ذلك مبالغاً؟

(١) انظر مشكوراً: صحيح البخاري ح (٣٤٤٥).
(٢) انظر مشكوراً: مسند الإمام أحمد (٣٦٧/٢) وسنن أبي دؤاد ح (٢٠٤٢).
(٣) انظر مشكوراً: مسند الإمام أحمد (٢١٤/١) وابن ماجه ح (٢١١٧). وهو حديث صحيح.
(٤) انظر مشكوراً: صحيح البخاري (٤٩٥/١) وصحيح مسلم (٩٢٥/١).

وهل كان عمر رضي الله عنه فيما عمد إليه من قطع الشجرة أو عزل خالد مبالغاً؟

فلماذا تنسب الوهابية وحدها إلى المبالغة، وهذه أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفعال خلفائه الراشدين على ما قدمنا.

وعلى فرض أن الوهابية بالغت في ذلك، فإنها مبالغة محمودة كان من نتيجتها استئصال شأفة الشرك، واجتثاث جذور الوثنية من الجزيرة العربية، في الوقت الذي لا تزال فيه كل بلاد الإسلام تعاني من ذلك ما تتفتت على صخرته كل قواعد التوحيد والإيمان.

وإذاً فليست المسألة يا سعادة الدكتور مسألة ضيق في الأفق والفهم للتوحيد، ولكنها الحيطة الواجبة لأعظم أصل في الإسلام وهو التوحيد.

وأما ما ذكره سعادته من أن تشدد الوهابية في موضوع التوحيد قد تسبب في حصول الفرقة بينها وبين من يسميهم مسلمين فذلك أمر حتم، إذ لا يعقل أن يرضي الباطل عن الحق أبداً.

ولكن وزر هذه الفرقة لا يقع على الوهابية، فإنها تدعو كل المسلمين إلى الدخول في دين الله الحق، كما يصوره القرآن الكريم والسنة المطهرة، بعيداً عن كل شوائب الانحراف والضلال.

ولا يجوز لأحد أن يطلب من الوهابية أن تجامل أو تداهن، لاسيما في موضوع يتعلق بأصل الأصول في الدين وهو التوحيد.

بل هي مستعدة حينئذ لأن تكون وحدها في طرف، والدنيا كلها في طرف، حيث لا مجال لمساومة أو مجاملة.

الجاهلية الأولى والجاهلية الثانية:

ثم يقول سعادته: " لأن زيارة القبور وإقامتها على وجه الأرض سوف لا يعيد الآن بحال، وضع الوثنية العربية الأولى على عهد الدعوة الإسلامية، ومن ثم لا وجه لخشية الشرك فضلاً عن وقوعه ممن يقيم القبر أو يزوره"^(١).

فانظر إلى أي حد يتجاهل دكتورنا الواقع الملموس، كأنه لا يرى ولا يسمع، وكأنه يعيش لا في دنيا البشر التي لا تزال في قرنها العشرين- قرن الذرة والصاروخ- تتمرغ في أحوال الوثنية على جميع صورها ومظاهرها.

والعجب أن يصدر هذا الكلام من رجل كان مسؤولاً في يوم من الأيام عن تلك القبور الشاهقة التي تزخر بها القاهرة وغيره من مدن مصر بل وقراها، ويعرف جيداً ما يرتكب عندها وحولها من أفانين الشرك ولوثات الوثنية مما ذكرنا بعضه آنفاً.

فهل يستطيع سعادته أن يدلنا على شيء واحد كانت تفعله الوثنية العربية الأولى وليس موجوداً في تلك الجاهلية الثانية؟

أم إن سعادته يعتبر هذه الأعمال وثنية إذا تُقرب بها إلى اللات والعزى ومناة وهبل، ولكنها تنقلب توحيداً إذا تُقرب بها إلى المشايخ المقبورين.

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨١.

لقد كشف لنا كلام سعادته هذا عن لغز عسر علينا حلّه، وهو أنه حين كان وزيراً للأوقاف اشترأبت إليه أعناق أنصار التوحيد، وانتظروا منه أن يقوم بخطوة جريئة في الإصلاح، فيغلق على الأقل هذه الأضرحة ولا يسمح بزيارتها، وبلغني تلك المهرجانات الشركية التي تقام لأصحابها، ولكنه لم يصنع من ذلك شيئاً، وكأن الأمر لا يهمه ولا يعينه.

وثنية الأموات ووثنية الأحياء:

ثم يقول سعادته: " والوثنية التي يمكن أن توجد في القرن العشرين ليست وثنية الأحجار والأموات، إنما هي وثنية الأحياء أصحاب السلطان والنفوذ. ولا يقضي على هذه بالدعوة إلى هدم القبور وتحريم زيارتها، وإنما بتحقيق شعور المساواة بين الحاكم والمحكوم^(١).

وهذا ليس بصحيح، فإن وثنية الأحجار والأموات لا تزال قائمة فعلاً في كل مكان من الدنيا، ولا يزال الإنسان هو الإنسان لم يستطع أن يتخلص من سيطرة أوهامه أو فساد تخيلاته، رغم ذلك التقدم الهائل في العلوم والمخترعات.

ولعل سعادته يعرف أن أعلى الناس ثقافة في مصر، هم أكثر من غيرهم تعلقاً بالخرافات والأوهام، والمكابرة في ذلك مكابرة في شيء محسوس وواقع لا تليق بأحد الناس فضلاً عن دكتورنا الفيلسوف.

وأما وثنية الأحياء من أصحاب النفوذ والسلطان، فلا وجود لها بحمد الله في ظلال الوهابية، لأنها تحارب كل أشكال الوثنية، لا فرق عندها

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨١.

بين وثنية الأحياء ووثنية الأموات، ولهذا تعيش الدولة السعودية التي تدين بالوهابية في ظل ديمقراطية حقة، لا يحس فيها المواطن بفرق بين حاكم ومحكوم، بل يعرف كل مواطن أن الحاكم إنما وضع في مكانه لمصلحة المحكوم.

فها هو ملك البلاد وعاهلها، يتصل بشعبه اتصال الأب الرحيم، ويجلس إلى المواطنين كل يوم خميس في قصر الحكم بالرياض، فيتوافدون للسلام عليه، وتقديم الطلبات والشكايات إليه، وهو لا يرى الحكم سيطرة واستعلاء، ولكن يراه رعاية ومسؤولية.

ومن قبل كان والده المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز، مثلاً عالياً في الديمقراطية والشعبية، وقد كان لنا منه مجلس كل أسبوع، حين كنا ندرس بكليات الرياض، فيجلس بيننا متبسطاً، ويخوض معنا في شتى الأحاديث التي تهم الإسلام والمسلمين.

ويؤسفنا أن نقول إن الدكتور الذي يتحدث عن القضاء على وثنية الأحياء بالنسبة للحركة الوهابية، عاش هو نفسه تلك الوثنية ومارسها فعلاً حين كان وزيراً للأوقاف، حيث كان يعامل موظفي وزارته بأقصى ما يتصور من ألوان العسف والإرهاب.

مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين من الأئمة المهديين:

ثم يقول سعادته: "تتادي هذه الحركة باتباع مذهب السلف في صفات الله، وهو المذهب المعروف بالتفويض في كيفية اتصافه بها، بعد الإيمان بأنه سبحانه يتصف بها، وبذلك لا ترى رأي المعتزلة القائلين

بأنها عين الذات وليست غير الذات. كما لا يرون رأي الأشاعرة القائلين بأنها ليست غيراً وليست عيناً^(١).

أما أن هذه الحركة تنادي باتباع مذهب السلف في صفات الله تعالى، فهو أمر واضح، بل لعلها الآن هي الحركة الإسلامية الوحيدة التي تتبنى هذا المذهب السلفي، وتعمل ما وسعها الجهد على نشره والدعوة إليه بمختلف الوسائل، لا سيما عن طريق طبع الكتب والرسائل التي ألفت في مناصرته قديماً وحديثاً.

وهو يدرس في كل مراحل التعليم بالسعودية، ولا يسمح لأي مذهب آخر بمزاحمته.

ولكن ما معنى قول الدكتور بعد ذلك إن هذه الحركة لا ترى في صفات الله تعالى رأي الأشاعرة ولا رأي المعتزلة.

فهل هذا عيب فيها أنها لم تأخذ في صفات الله بواحد من هذين المذهبين المنحرفين، وأخذت بمذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين، كما فعل ذلك من قبل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته.

ثم إن هذه الحركة لا تجعل من صفات الله تعالى مشكلة كما فعل غيرها، ولا تجعلها موضع مناقشة جدلية. بل تأخذ فيها بالبساطة المعروفة عن العقيدة الإسلامية الأولى، قبل أن تنشأ تلك التعقيدات التي أثارها المتكلمون.

حَرَكَةٌ لَمْ تَقُمْ لِلْهَدْمِ بَلْ لِلْبِنَاءِ

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨١.

الآن وقد فرغنا من التعليق على نقد الدكتور لأسس الحركة الوهابية،
نشرع - إن شاء الله - في التعليق على نقده للحركة ذاتها.
يقول سعادته: " يلاحظ فيما عرضنا لعناصر هذه الحركة، من الجهة
الفكرية:

أولاً: أن حركة محمد بن عبدالوهاب في القرن الثامن عشر، قامت
على أساس التمذهب بمذهب معين وهو مذهب أحمد ابن حنبل، ولأنها
أسست على التمذهب بمذهب معين تعتبر امتداداً في التمسك
بالمذاهب الإسلامية كل منها على حدة، وتمثل طوراً من أطوار التبعية
لمذهب خاص^(١).

ويظهر من هذا أن الدكتور يعيب على الحركة الوهابية تقليدها لمذهب
معين، وهو مذهب أحمد رحمه الله، فهل كان يريد من الوهابية مثلاً أن
تنشئ في الفروع الفقهية مذاهباً جديداً يضاف إلى المذاهب الأربعة
المعروفة، فتكون بذلك مذاهباً خامساً كما يرميها بذلك خصومها؟

إن الوهابية لم تقم للاجتهاد في الفروع، ولكنها قامت لتصحيح
الأصول، فإن الفروع أمرها هين، وقد أجمعت الأمة على جواز التقليد
فيها لمن لا يقدر على الاجتهاد ولا تتوفر لديه وسائله، إذ لا يعقل أن
نطلب من كل فرد في الأمة أن يكون مجتهداً.

فقول الدكتور إنها أسست على التمذهب بمذهب معين غير صحيح.

فهي لم تدع إلى التمذهب بالمذهب الحنبلي أو غيره، ولكن اتفق أن
مؤسسها رحمه الله كان حنبلياً في الفروع.

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٤.

ولو كان مالكيّاً أو شافعيّاً ما تغير الوضع بالنسبة للدعوة، فإنها دعوة عامة لأتباع المذاهب الأربعة وغيرهم، هدفها تطهير العقائد من الشرك ومحاربة الخرافات والبدع.

وبذلك لا تعتبر الدعوة- كما يدعي الدكتور- امتداداً في التمسك بالمذاهب الإسلامية المنفردة، ولا تمثل طوراً من أطوار التبعية لمذهب خاص.

إذ لو كانت كذلك لاقتصرت على أتباع المذهب الحنبلي، ولم تحاول هداية الناس من أتباع المذاهب الأخرى^(١).

الخصومة المذهبية ليست من فعل هذا الحركة:

ثم يقول سعادته: "ثانياً إذ تنادي هذه الحركة بالرجوع إلى مذهب السلف، لا تعني أكثر من إبعاد القياس والعرف، مع التزام نصوص القرآن والحديث الصحيح في الفقه في دائرة التشريع وبذلك تستمر في مجال الخصومة المذهبية"^(٢).

وهنا يتناقض الدكتور مع نفسه، فبعد أن ادعى في التعليق الأول أن الحركة تتمذهب بمذهب معين، أعلن هنا أنها تنادي بالرجوع إلى مذهب السلف، فتلتزم نصوص القرآن والحديث الصحيح، وتبعد القياس والعرف في دائرة التشريع.

(١) بل إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لا يقر التعصب المذهبي وأوضح ذلك بقوله: (إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ، ولا مخصص، ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب). انظر مشكوراً: الهدية السننية والتحفة الوهابية النجدية لجميع إخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية، والطريقة المحمدية" جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى. وتعليق الشيخ محمد رشيد رضا ص ٣٥.
(٢) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٤.

ثم يتناقض مرة أخرى حين يدعي أنها بالرجوع إلى مذهب السلف، تستمر في مجال الخصومة المذهبية، وقد كان العكس هو الصحيح.

على أن الكلام كله سواء مقدماته أو نتيجته غير صحيح، فإن الحركة إنما نادى بالرجوع إلى مذهب السلف في العقائد التي هي الأصول، لأن السلف كانوا فيها على رأي واحد ضد أهل الأهواء من الخوارج والشيعية والقدرية والمرجئة والجهمية ونحوهم.

وأما في الفروع أو العمليات فلم يكن للسلف فيها مذهب خاص حتى تنادي الحركة بالرجوع إليه، كما أنها لم تستبعد القياس والعرف - كما يدعي الدكتور - فإن هذا مذهب الظاهرية. ولكنها فقط كانت تأخذ برأي أحمد رحمه الله، في تقديم النص وإن كان ضعيفاً على القياس، وأما الاستمرار في مجال الخصومة المذهبية، فهو ليس من فعل هذه الحركة ولا هدف لها، وهي أبعد ما تكون عن التعصب المذهبي في مسائل الخلاف.

وحسبك دليلاً على أن جميع المذاهب الفقهية تدرس الآن في الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة إلى جانب الفقه الحنبلي في مادة "الفقه المقارن".

كما أنه لا يوجد بين المذاهب الفقهية مذهب هو أوسع صدرًا لقبول الآراء المختلفة من المذهب الحنبلي، إذ قلما توجد مسألة فقهية إلا وفيها لأحمد رحمه الله روايتان أو ثلاث.

ولهذا يتسع المجال أمام علماء هذا المذهب لحرية الاختيار والترجيح الذي قد يتجاوز حدود المذهب، كما هو معروف عن شيخ الإسلام ابن

تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله في اختياراتهما التي انفردا بها عن جمهور الحنابلة.

وكذلك العلامة ابن قدامة رحمه الله صاحب كتاب "المغني" درج في كتابه العظيم، على أن يعرض في المسألة الواحدة كل المذاهب بأدلتها، ثم يرجح بعد ذلك أقواها دليلاً ولو كان غير مذهبه الحنبلي. فأين إذًا تلك الخصومة المذهبية في الحركة الوهابية وأين مظاهرها؟

الوهابية والتراث الإسلامي:

ثم يقول سعادته: "لم تقصد أول الأمر أن تكون حركة "عود على بدء" على معتنى تصفية العصبية للمذاهب الفقهية ونخلها في التشريع والمعاملات، ولمذاهب العقيدة في تصور الله والاعتقاد به عن طريق علمي" (١).

ومعنى هذا الكلام - فيما بلغه فهمي - أن الدكتور عفا الله عنه، كان يريد من الحركة الوهابية أن تشن الثورة على جميع المذاهب الفقهية التي استحدثت في الإسلام، فتقوم بنخل هذه المذاهب، لتأخذ منها ما تراه صالحاً، ثم تلغي ما بقي، وبذلك تكون قد صفت العصبية المذهبية.

والعجب أن يصدر مثل هذا الكلام الخطير من دكتور فيلسوف يؤمن بحرية الرأي، ويدعو إلى بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً، لأن إغلاقه - كما ذكر في كتابه - قد أدى إلى الركود والتخلف وعدم القدرة على مواجهة المستجد من أحداث الحياة.

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٥.

إن الحركة الوهابية لو قامت- لا قدر الله - بمثل هذه الحماسة، لارتكبت أعظم خطأ في تاريخها، ولجلبت على نفسها نقمة العالم الإسلامي المتحضر كله.

وإذا كان الدكتور يرمي الحركة بالتعصب المذهبي، وهي لم تفعل ذلك، فبماذا كان يرميها لو قامت بمثل تلك المحاولة التخريبية لتصفية مذاهب لها كيائها واحترامها، ولها أئمتها الكبار الذين أفنوا أعمارهم في الاجتهاد، ولها قواعد في التعليل والإستنباط والموازنة.

إن الفقه الإسلامي بما تضمنه من ثروة هائلة في التشريع، وبما اتسم به من مرونة وقدرة على تكيف الأحداث، ومواجهة متطلبات الحياة، يعد مفخرة من أعظم مفاخر هذه الأمة يشهد لها بالأصالة والجدة في هذه الناحية التشريعية.

فكيف يراد من حركة إسلامية قامت للبناء لا للهدم، أن تقضي على هذا التراث الضخم، فتسجل بذلك قصوراً في النظر وضيقاً في التفكير.

وكيف تتفق دعوة الدكتور إلى هذا التخريب، مع قوله في كتابه يمدح الحركة الفقهية وتطورها: "وكذلك الشأن بالنسبة للعامل الثالث وهو مواجهة أحداث الحياة وتطور المجتمع الإسلامي، فإن تفاعل الإسلام مع هذا العامل كان تفاعلاً خصباً منتجاً، وبرهن على مرونة الإسلام في مبادئه بفضل الاجتهاد، وعلى سعة استيعابه للمستجد من مشاكل الحياة، فالفقه الإسلامي تدل كثرة مذاهبه ومدارسه على سعة المحاولة لتكييف الأحداث من وجهة نظر الإسلام".

"والخلاف الذي بينها في اعتبار بعض أصول التفقه والمراجع التي ترد إليها أحكام الحوادث، لم يكن إلا خلافاً ناشئاً عن رغبة المختلفين في ضرورة الحرص على بقاء الجماعة الإسلامية آخذة بالإسلام في منهاج حياتها اليومي".

وأما في مذاهب العقيدة في تصور الله عز وجل والاعتقاد به، فقد حققت هذه الحركة المباركة مبدأ: "عود على بدء" كما يريد الدكتور. فقد عادت بالناس إلى العقيدة الإسلامية الأولى في بساطتها ونقائنها، وحاربت كل ما أحدث في هذا الجانب العقدي من مذاهب ومقالات. وكانت نشاطاتها في هذه الناحية امتداداً صحيحاً لحركة التصحيح الكبرى التي بدأها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ليس تقليداً بل موافقة الحق للحق:

ثم يقول الدكتور: " رابعاً: الحركة الوهابية تقليد آخر، ليست تجديداً انطوى على استقلال في بيان قيمة المذاهب الإسلامية في العقيدة والتشريع في المعاملات وفقه العبادات.

هي تقليد لحركة الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك، وليست استمراراً لحركته في نقدها، في هدمها وبنائها^(١).

ولست أدري لماذا يلح الدكتور في رمي هذه الحركة بالتبعية والتقليد، وعدم الابتكار والتجديد؟ مع أن التقليد ليس على الإطلاق مذموماً، ولا التجديد على الإطلاق ممدوحاً.

ثم لماذا شغف بكثرة التعداد لأخطاء الحركة، وما الذي يهدف إليه من ذلك، فإن هذا الذي ذكره " رابعاً"، هو الذي سبقه أولاً وثانياً وثالثاً!.

وأما نعتة الحركة بأنها تقليد آخر، وليست تجديداً انطوى على استقلال في بيان قيمة المذاهب الفقهية، فهذا ليس من شأن الحركة ولم تقم لأجله كما قدمنا، وإنما قامت من أجل تجريد التوحيد وتنقيته من أكار الشرك، وإحياء مذهب السلف في العقيدة.

وإذا كانت الحركة قد استفادت من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الجانب، فإن ذلك لا يعد تقليداً، بل هو من موافقة الحق للحق.

كما لو قرأ الدكتور نظرية لأحد فلاسفة الغرب فأعجبته واقتنع بصحتها بعد دراسة وتأمل، فهل نسميه مقلداً لذلك الفيلسوف صاحب النظرية؟

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٥.

إن معنى التقليد أن تؤخذ قضايا الأولين مسلمة من غير نظر في الأدلة المثبتة لها، وأما الإيمان بها عن دليل واقتناع فلا يسمى ذلك تقليداً.

ولو فرضنا ذلك تقليداً، فليس يعيب الحركة أن تقلد في الحق، وأن تتأسى فيه بمن سبق.

وأما قوله إنها ليست استمراراً لحركة ابن تيمية في النقد أعنى الهدم والبناء، فليس بصحيح، فإن موقفها من المذاهب المنحرفة في العقيدة من معتزلة وجهمية وأشعرية ومرجئة الخ هو نفس موقف ابن تيمية من حيث الرد عليها والاشتغال بإبطالها.

وكذلك موقفها في الناحية الإيجابية، أعني الدعوة إلى إحياء مذهب السلف وبيانها، وإقامة الحجج المثبتة له هو عين موقفها.

ولعل الدكتور لو قرأ ما كتبه مؤسس هذه الحركة وعلمائها من بعده، لما رماها بما رماها به من الجمود والسلبية، ولتغيرت نظرته إليها وخفت قسوته في الحكم عليها.

مفخرة من مفاخر هذه الدعوة:

ثم يستدرك الدكتور على ما سبق بقوله: "ولكن إن كانت تعتبر تقليداً أو استمراراً لطور التقليد، فإنها تتميز بأنها صانت آراء ابن تيمية وعنيت بها في القرن الثامن عشر بعد مدة أربعة قرون لم تلق فيها تلك الآراء العناية الكبرى التي لقيتها من جانب حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(١) .

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٥..

وهنا نلمح في كلام الدكتور شيئاً من التقدير والإنصاف للدعوة الوهابية، بسبب صيانتها لأراء ابن تيمية وعنايتها بإحيائها ونشرها. وتلك مفخرة من مفاخر هذه الدعوة ستظل تذكر لها بالعرفان والتقدير، فإن كتب شيخ الإسلام ورسائله كانت مطمورة تحت ركام الإهمال والنسيان، لا يسمح لها أهل البدع والإلحاد أن ترى النور، ولا أن تقوم بدورها الخطير في توجيه العالم الإسلامي نحو الطريق الصحيح. بل كثيراً ما كانوا يحذرون من قراءتها ويقرونونها بكتب الفلاسفة في جواز الاستتجاء بها.

فلما قامت هذه الحركة المباركة^(١) أخذت تنقب عن تلك الثروة الهائلة التي خلفها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله، وجد المسؤولون عن هذه الدعوة في إبراز هذه الكنوز بالطبع والنشر.

وكان لجلالة الملك عبدالعزيز - غفر الله له وأجزل مثوبته.. اليد الطولى في هذا الباب، حتى أصبحت كتب الشيخين الجليلين تملأ المكتبات العامة والخاصة.

وأخذت العقيدة السلفية التي كانت قابضة في زوايا كتب الكلام، حيث تذكر ولا تقدر، وتعتبر مذهباً للحشوية والعوام، أخذت مركزها الصحيح في القيادة والتوجيه، بعد قراءة كتب هذين الإمامين اللذين لم يأت الزمان لهما بنظير في الجمع بين المعقول والمنقول، فكتبتهما الآن

(١) مباركة لأنها امتداد لما كان عليه محمد ﷺ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم، وهي رجوع للإسلام الصحيح وتربية على هذا الإسلام الصافي النقي.

هي المنارة التي تضيء السبيل لكل مستقيم الفكر برئ من الهوى والتقليد، وآراؤهما أصبحت محل التقدير العظيم في جميع الأوساط والمحافل العلمية.

حركة امتازت بالإحياء والتجديد:

ثم يقول الدكتور: "وهي تعتبر قنطرة لآراء ابن تيمية مرت عليها إلى الأجيال القادمة، وتعزيد السلطة الرسمية السعودية أعطاها قوة البقاء والاستمرار^(١)".

ونحن لا نوافق الدكتور على أن الحركة الوهابية كانت مجرد قنطرة عبرت عليها آراء شيخ الإسلام إلى الأجيال القادمة. بل إن هذه الآراء تعتبر جزءاً أساسياً من الجانب النظري لتلك الحركة بحيث لا يمكن الفصل بينهما أو اعتبار أحدهما أجنبياً عن الآخر.

وأما قوله إن تعزيد السلطة الرسمية السعودية هو الذي أعطى الحركة قوة البقاء والاستمرار فذلك حق لا ريب فيه.

فإن البيت السعودي المالك - حرسه الله - قد وفى بما عاهد عليه مؤسس الحركة، من حمايتها والدفاع عنها ضد أعدائها الكثيرين من المعطلة والقبوريين والصوفية.

ولكن يجب أن يضاف إلى ذلك القوة الذاتية للحركة نفسها. ثم جهود آل الشيخ - حفظهم الله - وعلماء الدعوة في توضيحها والدفاع عنها.

ثم يقول الدكتور: "ولهذا تعتبر الحركة الوهابية بعده الحركة الإسلامية التي حوت بذور النقد بصفة عامة وقدمتها إلى الحركات الإسلامية الأخرى في القرن التاسع عشر والعشرين، ومن أجل ذلك تعتبر تمهيداً لهذه الحركات، كما تعتبر نوعاً من "التقدمية" بالقياس إلى عصور

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٥ .

التبعية المطلقة، لأن طابع النقد صاحبها وإن لم تسر فيه بخطوات واضحة".

وهنا أيضاً تبدو على كلام الدكتور مسحة من الإنصاف للحركة وتقدير الدور العظيم الذي قامت وتقوم به في إيقاظ الوعي الإسلامي، وتصحيح المفاهيم الإسلامية المحرفة، بحيث تعتبر أساساً لما قام بعدها من حركات تقدمية.

كما اعترف الدكتور بأنها حركة امتازت بالإحياء والتجديد، وقامت على أساس من النقد البرئ، ولكننا مع ذلك لا نوافق على أن الحركة حوت بذور النقد لتقدمها إلى الحركات الإسلامية الأخرى فقط، فإن معنى ذلك أنها كانت مجرد ناقل أو وسيط، دون أن تقوم بإحياء حركة النقد وإنمائها.

والواقع أن هذه الناحية كانت من أهم ما عنيت به الحركة نظراً لكثرة المعارضين لها.

نعم يمكن القول بأن أسلوب النقد فيها لم يبلغ درجة النقد عند ابن تيمية من حيث الدقة والعمق، وذلك لأنها نشأت في جو تقل فيه العناية بالدراسات النقدية وأسلوب المناظرات^(١).

(١) هذا الكلام فيه نظر، والمتأمل في ردود علماء الدعوة الإصلاحية على مخالفيها، يرى أن هناك مشاركة قوية من حيث الدقة والعمق، ومن نظر مثلاً في ردود الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد عبدالوهاب المتوفى سنة ١٢٩٣ هـ، يجد فيها شيئاً كبيراً في درجة النقد عند ابن تيمية من ناحية التأصيل وسعة الأفق، والعمق العلمي، والإحاطة بالمذاهب الإسلامية.

في هذا الكلام خطأ:

ثم يقول سعادته: " ومن المعروف أن ابن تيمية في هجومه على الشيعة كان يقصد فرقة الغلاة منهم التي سماها الرافضة، وكان يوجه نقده على الأخص لجماعة الباطنيين أو التعليميين منهم. مع ذلك لما ورثت الحركة الوهابية اتجاه ابن تيمية وسعت شقة الخلاف بين السنة والشيعة عامة، وغالت في تصوير الشيعة على الإطلاق، وأصبحت الفجوة كبيرة في النزاع المذهبي بين السنة والشيعة منذ القرن الثامن عشر الميلادي، بل أصبحت أشد من ذي قبل، وكانت زيادة الفجوة على هذا النحو أثراً سلبياً للدعوة الوهابية^(١) .

وفي هذا الكلام خطأ: خطأ على ابن تيمية رحمه الله، وخطأ على الحركة الوهابية.

أما الخطأ على ابن تيمية ففي إدعاء أنه لم يقصد في هجومه على الشيعة إلا فرقة الغلاة منهم وهم الروافض لاسيما جماعة الباطنية أو التعليمية.

فإن ابن تيمية - رحمه الله - لا يقر التشيع في أي صورة من صورته، غالباً كان أو معتدلاً، ويعتبره انحرافاً عن جادة الحق، واتباعاً لغير سبيل المؤمنين.

لاسيما والشيعة كلهم يشتركون في مبادئ عامة بعيدة عن روح الإسلام، كالقول بالرجعة والتقية وعصمة الأئمة وسب الصحابة ونحو ذلك.

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٦ .

وأما الخطأ على الحركة الوهابية ففي إدعاء أنها وسعت شقة الخلاف بين السنة والشيعة، وغالت في تصوير الشيعة عامة دون تفريق بين غلاة ومعتدلين.

فنحن لا نعرف للحركة الوهابية موقفاً خاصاً من الشيعة غير موقف أهل السنة كلهم، اللهم إلا أن يكون ذلك الموقف الخاص بالحركة هو محاربتها لغلو الشيعة في آل البيت، ورفعها إياهم عن مستوى البشر.

نعم إن الحركة الوهابية لم تتورط مع الشيعة في تقارب مزعوم كما تورطت "جماعة التقريب" في مصر - ولعل سعادة الدكتور كان عضواً فيها- لأنها لا تجد وجهاً للتقارب مع الاختلاف الجذري في الأسس والمبادئ.

على أن الواقع نفسه يشهد بخطأ الدكتور فإن هناك مناطق كبيرة من المملكة العربية السعودية في الأحساء والقطيف وغيرهما أغلبية سكانها من الشيعة، وهم يلقون من حكومة جلاله الفيصل - حفظه الله - نفس العناية التي يلقاها سائر المواطنين في نواحي التعليم والصحة والزراعة والمواصلات، بلا فارق أصلاً^(١).

كما أن علاقة المملكة بالدول التي توجد فيها أغلبية شيعية كإيران وباكستان ولبنان علاقة طيبة ووطيدة.

(١) ومن أتى بعد الملك فيصل رحمه الله تعالى، الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى، حتى عهدنا الحاضر في عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله. والشيعة يلقون نفس العناية التي يلقاها سائر المواطنين في نواحي التعليم والصحة والزراعة والمواصلات، بلا فارق أو تفريق.

ولا تزال الشيعة كل عام تحج البيت الحرام بأعداد هائلة، ويلقون من المسؤولين نفس المعاملة التي يلقاها جميع الحجاج من أهل السنة.

تأثير الدعايات المغرضة:

ثم يقول سعادته: "يضاف إلى هذا الأثر السلبي لها في هذا الجانب، أثر سلبي آخر أتت به في مسألة القبور وزيارتها".

فتشدها في تحريم شد الرجال إلى القبور - وهو رأي أو عقيدة سليمة في أصلها - حدا برجال السلطة السياسية القائمين على صيانة الحركة الوهابية ونموها، أن يمعنوا في إزالة القبور وانتهاك حرمة الموتى، وعلى الأخص انتهاك حرمة رجال من الصحابة كان لهم أثر لا ينكر في الدعوة الإسلامية^(١).

ومن هذا النص يتبين جلياً أن الدكتور الفيلسوف كان واقعاً تحت تأثير الدعايات المغرضة وهو يكتب هذا الكلام.

والإفما معنى أن يرمى الحركة بالتشدد في تحريم شد الرجال إلى القبور، مع اعترافه بأنها عقيدة سليمة؟ وما معنى أن يريد من الحركة أن تخون مبادئها في صيانة التوحيد فتسكت على هذه البدع المائلة في هذه القباب العالية من أجل إرضاء العواطف الحمقاء، تسمح بشد الرجال إليها للاستغاثة والتوسل، بعدما جاء النهي الصريح عن ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد:

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٧.

مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى". وهو حديث متفق عليه^(١).

وأما الذي فعلته السلطة السياسية فإنه لم يزد على تنفيذ ما أرشد إليه علماء الحركة، من هدم القبور وتسويتها تنفيذاً لأوامر الشرع، وليس انتهاك حرمة الموتى كما يزعم الدكتور، فإن الوهابيين - ساسة وعلماء - أعرف بأقدار هؤلاء الموتى وأشد احتراماً لهم من كثير ممن يتباكى على أطلال قبورهم.

إن الربط بين إزالة القبور وانتهاك حرمة الموتى، لم يقصد منه - فيما يبدو - إلا الإثارة والتشجيع وتصوير الحركة بصورة تنفر منها القلوب. ولست أدري لمصلحة من يقول الدكتور هذا الكلام الآن؟ مع أنه قد مضى على هذه العمليات ما يقرب من خمسين سنة.

حركة إصلاحية أم أكاديمية علمية:

ثم يقول سعادته: "ولو أن الحركة الوهابية سارت في نخل الآراء الإسلامية في مذاهب الجماعة الإسلامية المختلفة، وساعدت على إيجاد حركة علمية تهدف لهذه الغاية، ثم ولت وجهها نحو الحضارة المعاصرة والفكر المعاصر، واتخذت منهما موقفاً يمليه عليها الكتاب والسنة، قبل ن يتحزب في تفسيرها المسلمون، وقبل أن يفرقوا دينهم شيعاً وأحزاباً.."

لو أنها فعلت ذلك لأفادت في بناء حركة علمية إسلامية ، ولأفادت كذلك في تنوير الرأي الإسلامي بالمقومات السلبية التي تصاحبها بما

(١) انظر مشكوراً: صحيح البخاري ح (١١٩٧) وصحيح مسلم ح (٨٢٧).

قد لا يستسيغه ميزان الكتاب والسنة، ولأفادت ثالثاً في نهضة شعب عربي في الجزيرة العربية نهضة اجتماعية وتوجيهية، بحيث تصلح أن تكون عنواناً واضحاً لحكم حديث قام على أسس إسلامية^(١).

فأعجب لدكتورنا الكبير كيف يطلب من حركة إصلاحية دينية قامت لتحقيق أهداف محدودة، أن تقوم بما لا تستطيع أن تقوم به أكاديمية علمية.

فهو يكلفها أن تقوم لا بغرلة الآراء الإسلامية فحسب بل بنخلها، وهو لا يكلفها ذلك بالنسبة لمذاهب معينة فقط بل في مذاهب الجماعة الإسلامية المختلفة.

ولست أدري لماذا تكلف الوهابية وحدها بذلك العمل الضخم، ولماذا لم يتوجه الدكتور الفاضل بمشروعه الخيالي إلى الأزهر مثلاً وقد كان مديراً لجامعته، وكان بطل حركة التطوير فيه.

وأما مساعدتها على إيجاد حركة علمية فإن الدكتور يعرف أن الحركة العلمية قائمة بالمملكة من أكثر من ربع قرن مضى.

وقد كان وهو مدير للبحوث يقوم باختيار أقوى الأساتذة للتدريس بكليات المملكة ومعاهدها، وقد تخرج على أيديهم العديد من طلابها.

ويوجد بالمملكة الآن ثلاث جامعات^(١) تضم كل واحدة منها عدداً كبيراً من الكليات، وقد أنشئ قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة (إحدى كليات جامعة الملك عبدالعزيز) يتكون من ثلاثة فروع:

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٧ .

- ١- فرع للعقيدة تدرس فيه الفرق الكلامية والأديان وتيارات الفكر المعاصر، وتناقش فيه كل النحل والمذاهب من كلامية وفلسفية على غرار صنيع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
 - ٢- فرع للفقه وأصوله يدرس فيه الفقه المقارن بكل فروعها، وتمحص فيه الآراء، ولا يتقيد فيه بمذهب معين بل بما صح دليله وقويت حجته.
 - ٣- فرع للكتاب والسنة يدرس فيه التفسير دراسة تحليلية وتدرس فيه كل علوم القرآن والسنة المطهرة بكل ما يتعلق بها.
- وقد تخرج من هذه الأقسام عدد من الطلاب بدرجة ماجستير وقد وضع لائحة لإنشاء قسم للدكتوراه تنفذ من العام القابل إن شاء الله.
- وقد أنشئ قسم آخر للدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها. وبالجملة فالحركة العلمية في المملكة قائمة بحمد الله على قدم وساق، وقد آتت وستؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

(١) من فضل الله عز وجل ومنه وكرمه، أنه يوجد الآن في المملكة العربية السعودية، ثلاثة عشر جامعة، وكل جامعة تضم عشرات الكليات الشرعية والعلمية والتقنية، وكذلك عدد كبير من عمادات الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه في شتى العلوم والمعارف).

الحركة الوهابية والفكر المعاصر:

ولكن ما معنى قول الدكتور بعد ذلك: "ثم ولت وجهها نحو الحضارة المعاصرة والفكر المعاصر" وماذا عسى أن تستفيده حركة دينية إصلاحية من الحضارة المعاصرة، وهي حضارة قائمة على أسس مادية بحثة سواء كانت في الشرق أو في الغرب.

ثم ماذا عسى أن تستمده كذلك من الفكر المعاصر وهو فكر إلهادي يقوم على مبادئ دارون وسبنسر وشاخرت وسارتر؟

ثم ماذا عسى أن يكون موقفها من ذلك الفكر وتلك الحضارة على ضوء الكتاب والسنة، إلا موقف الإنكار والاحتقار وبيان ما فيهما من سموم ناقعة، وتحذير المسلمين من الاغترار ببريقهما.

ولست أدري كيف جمح الخيال بدكتورنا الفيلسوف حتى تصور دعاة الوهابية نخبة من الفلاسفة الكبار، فهو يطلب إليهم فوق نخلهم للآراء الإسلامية أن ينصبوا الموازين كذلك لفلسفات الغرب لتقويمها على ضوء الكتاب والسنة.

إن هذه الفلسفات والأفكار المعاصرة التي يطلب الدكتور من الحركة أن تولي وجهها شطرها، ليس فيها ما هو ذو قيمة فكرية حتى تستفيد منه الوهابية أو أية حركة إسلامية أخرى، فإن الإسلام أغنى من كل هذه الفلسفات في الناحية الفكرية أو النظرية، فلا يحتاج أبداً إلى ما عند الآخرين، بل هم الذين يحتاجون إلى ما عندنا إذا أرادوا تقويم أفكارهم أو تصحيحها.

وأما في الناحية الصناعية والتكنولوجية فلا بأس أن نستفيد مما عندهم من ذلك لأنهم سبقونا في هذه الناحية.

إن بناء حركة علمية إسلامية لا يتوقف أبداً على مذاهب فلاسفة الغرب وأفكارهم، لأنها لا تصلح مقومات ولا مبادئ لأية حركة علمية إسلامية، حيث إنها مذاهب وأفكار قائمة على اللادينية البحت.

الحركة العلمية في المملكة السعودية:

ومع ذلك فالحركة العلمية في المملكة السعودية لم تغفل الاستفادة من الحضارة والفكر المعاصرين، فقد أرسلت العديد من أبنائها إلى جامعات أمريكا وأوروبا ليتخصصوا في فروع العلم المختلفة، وقد أتم كثير منهم دراسته ورجعوا إلى بلادهم حيث يقومون بالتدريس في جامعاتها، وبما تؤهلهم له تخصصاتهم من أوجه النشاط المختلفة.

وأما من حيث تنوير الرأي الإسلامي بالمقومات السلبية لتلك الفلسفات، مما لا يسيغه ميزان الكتاب والسنة، فهذا هدف من أهداف الدعوة الآن تسلك إليه مختلف الوسائل، فهي جاهدة في إيقاظ الوعي الإسلامي، وتحذيره من تلك الوافدات الأجنبية، وبيان ما فيها من سموم وانحرافات.

وأما قول الدكتور: " ولأفادت ثالثاً في نهضة شعب عربي في الجزيرة.. الخ "

فإن الواقع هو أبلغ رد على ذلك فالنهضة التي يعيشها الشعب العربي الآن في جزيرته، تسابق الزمن في سرعته وتتخطى الحواجز والمعوقات بسرعة مذهلة.

ومن رأي هذا الشعب من عشرين عاماً فقط، ثم رآه الآن، فإنه لا يكاد يصدق عينيه حين يرى تلك الجهود الضخمة التي تبذل في جميع المجالات العلمية والإعلامية والصحية والاجتماعية، وحين يرى شباباً متفتحاً على الحياة يسير بخطى واسعة في طريق التقدم والبناء.

وبالجملة فهي نهضة شاملة تحارب التخلف في كل صورته ومظاهره، وتقفز إلى الإمام ولكن في تودة وثبات، وبحيث يمكن القول إنها أوضح عنوان لحكم حديث قام على أسس إسلامية.

ومن العجب أن يصدر هذا الكلام منذ سنتين فقط، أي في عنفوان النهضة التي تشهدها المملكة السعودية الآن في ظل حكم الفيصل العظيم^(١).

فأين يعيش دكتورنا الكبير حتى لم يسمع بما سمع به القاضي والداني لا في البلاد العربية والإسلامية وحدها، بل في الدول الغربية كلها من أوروبية وأمريكية.

حركة جاءت للتصحيح:

ثم يقول سعادته: " إن الحركة الوهابية تشددت فيما وسع الخلاف بينها وبين الشعوب الإسلامية الأخرى، وبالأخص بينها وبين الجماهير في هذه الشعوب^(٢) .

(١) وقد توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٥هـ، وما زالت حركة النهضة والتقدم في عنفوانها، وذلك بفضل الله عز وجل ورحمته ثم يتمسك ولاة أمر هذه البلاد بالإسلام الصافي النقي، والسير على منهاج محمد ﷺ، والأخذ بكل ما يفيد حضارة هذه البلاد وازدهارها.
(٢) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٧ .

وهكذا يرجع الدكتور مرة أخرى إلى تلك النعمة الكريمة فيرمي الحركة بالتشدد فيما وسع الخلاف بينها وبين الشعوب الإسلامية الأخرى.

فهل معنى هذا أن الحركة كان يجب عليها أن تسكت على البدع والمنكرات تضييقاً لشقة الخلاف وإرضاء للجماهير الإسلامية؟ وحينئذ ما تكون مهمتها وما معنى كونها حركة؟

وكيف يراد من حركة قامت للتصحيح والتقويم، أن تتغاضى عما تراه من انحرافات تجنباً للخلاف؟

إن الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} (البقرة: ١٢٠) وكذلك الجماهير لا ترضى إلا عما يجاريها على أهوائها ويحبذ لها مألوفاتها.

وهذا يشبه قول بعض المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنك قد جئت بأمر خالفت به قومك وفرقت به جماعتهم".

أفكان يترك عليه السلام الدعوة إلى الحق والهدى حتى لا يخالف قومه ولا يفرق جماعتهم؟

والعجب أن يصدر مثل هذا الكلام من دكتور فيلسوف يعلم أن الدعوات لا بد أن تثار في وجهها الخصومات، ولا بد أن تقابل من أعدائها بكثير من السخط والاستياء، ولكن هذا لا يصلح مبرراً أبداً لترك الدعوة أو التهاون فيها إبقاء على رضى الناس.

إن الحركة الوهابية تشددت في تنفيذ ما يجب تنفيذه، رضى الناس أم سخطوا، وهي لم توسع شقة الخلاف بينها وبين الشعوب الإسلامية حياً منها للخلاف.

ولكن الخلاف كان أمراً ضرورياً بين حركة جاءت للتصحيح وإزالة البدع والمنكرات، وبين شعوب جمدت على ما هي عليه من ضلالات وانحرافات.

ثم ما معنى قول الدكتور: "وبالأخص بينها وبين الجماهير".

ومتى كان للجماهير وعواطفها الهوجاء رأي يجب أن يعتد به في ميزان الحق، ويترك من أجله ما أوجبه الدين وصرحت به النصوص؟

الحركة الوهابية بين المجال النظري والتطبيق العملي

الدعوة وتفسيرها التطبيقي:

ثم يقول الدكتور: "إن دعوتها إلى القرآن والسنة صاحبها تفسير تطبيقي عملي لها. أبعدها عن الوضع والهدف يوم أن نادى بها ابن تيمية.

صاحبها تفسير تطبيقي عملي لها يشير إلى أنها الدعوة إلى الحياة الصحراوية على عهد الجماعة الإسلامية الأولى، وليست الدعوة إلى الإسلام الواضح كما يمثله القرآن والسنة الصحيحة، ذلك الإسلام الذي يساوق الحضارة الصناعية، ويساوق المستوى الرفيع في الحياة الإنسانية، ويساوق التقدمية في بناء الجماعة بناءً سليماً^(١) أ.هـ.

أما أن الدعوة صاحبها تفسير تطبيقي عملي فهذا صحيح، ولا خير في دعوة لا يصاحبها تطبيق ولا عمل، فإنها دعوة عقيمة سريعة الزوال.

وأما ادعاء الدكتور أن هذا التفسير أبعدها عن الوضع والهدف يوم أن نادى بها ابن تيمية فهذا غير صحيح، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لو وجد في زمانه القوة التي تسنده وتؤازره، كما وجدت دعوة شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب - رحمه الله - لفعل مثل ما فعله أو أشد، ومع ذلك كان يقوم هو وأتباعه القليلون بما يتسع له جهودهم من إصلاحات عملية، فالتفسير التطبيقي للدعوة كان يسير وفق المنهج المرسوم لها.

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٧ .

وما يتوهمه الدكتور أو غيره من إساءة للتطبيق، أو غلو في التنفيذ، فهذا حكم العاطفة لا حكم المنطق، إذ لا يليق في المنطق أن ترى الدعوة أشياء منافية للتوحيد ثم تسكت عليها إرضاء لعواطف المتعلقين بها.

وأما قوله إن التفسير التطبيقي للدعوة يشير إلى أنها الدعوة إلى الحياة الصحراوية على عهد الجماعة الإسلامية الأولى، وليست الدعوة إلى الإسلام كما يمثل القرآن والسنة الصحيحة، فقد تضمن كلام الدكتور هنا عدة أخطاء:

أولاً: وصفه حياة الجماعة الإسلامية الأولى بأنها حياة صحراوية يعني حياة بدو وتخلف، مع أنها كانت أرفع نمط للحياة البشرية، وأرقى ما عرفت الإنسانية من حضارات، وحسبك منها أنها حضارة قادها القرآن العظيم، وشاد صرحها أعظم بان عرفته البشرية، وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي ما عرفت الدنيا منذ نشأتها ضربياً له في كل ما هو كمال إنساني.

ما هو الإسلام الواضح؟

ولست أدري كيف سمح الدكتور لنفسه أن يغمز الحياة الإسلامية الأولى ذلك الغمز الذي لو جاء على لسان أحد الطاعنين في الإسلام من المبشرين والمستشرقين، لعددهناه هجوماً وقحاً فكيف إذا صدر من دكتور مسلم؟ سامحك الله يا دكتور!

الثاني: رميه الجماعة الإسلامية الأولى بأنها لم تكن على الإسلام الواضح كما يمثل القرآن والسنة، فإذا لم يكن هؤلاء الرعيل الأول على

الإسلام الواضح، وهم الذين عاصروا نزول الوحي، وتلقوه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم غصاً طرياً، وسعدوا بصحبته وتربوا على يديه تربية لم تتح لأي جيل في البشرية في عهدها الطويلة. نقول: إذا لم يكن هؤلاء على الإسلام الواضح فمن يكون إذا يا معالي الدكتور؟

الثالث: تفسيره الإسلام الواضح ذلك التفسير الغريب وهو أنه الذي يساوق الحضارة الصناعية الخ.. مع أن الإسلام ليس في حاجة إلى تفسيره بذلك، فإنه أعظم من كل صورة صوره بها الدكتور، إذ هو الطريق الذي لا طريق غيره لكل تقدم ولكل كمال إنساني، مادياً كان أو روحياً.

وإذا كان الإسلام الواضح في نظر الدكتور هو الذي يساوق الحضارة الصناعية، ويساوق المستوى الرفيع في الحياة الإنسانية، ويساوق التقدمية، فإن الدعوة الوهابية قد توفر لها ذلك كله، فليس بين شعوب الأرض الآن شعب يتمتع بكل ما أنتجته الحضارة الصناعية في كل المجالات مثل الشعب السعودي.

ومستوى الحياة الإنسانية فيها الآن يفوق مستواها في كثير من الدول التي سبقتها في الحضارة بزمان بعيد.

والمجتمع السعودي الآن هو الصورة الصحيحة للمجتمع المسلم الناهض المكافح الذي تختفي فيه الجريمة، فلا يوجد فيه عاطلون ولا متسكعون ولا رواد مقاهي ولا مدمنو مخدرات، ولا عصابات سطو، ولا

استبداد حاكم بمحكوم، ولا مظاهر ذلة وخنوع ونفاق، إلى آخر ما يوجد في غيره من المجتمعات شرقاً وغرباً.

فإذا لم يكن هذا كله تقدمية فبم تكون التقدمية يا سعادة الدكتور؟

الإسلام والحضارة والصناعة:

ثم يقول سعادته: "إنها لم تستسغ حتى الآن من الوجهة النفسية عصر الآلة الحديثة، فضلاً عن عصر الآلية والتكنولوجيا القائمة، مع أن الدعوة إلى القرآن والسنة قصد بها أولاً وبالذات سير الحياة الإسلامية في ظل تعاليم الإسلام وفي صحبة الحضارة الصناعية التي لا بد منها الآن لحياة شعب يرتفع بنفسه عن مستوى الحياة الدنيا في المعيشة بما يكتنفها من ضعف وإذلال^(١) .

وأقول إن معرفتي الشخصية بالدكتور البهي تجعلني أستغرب جداً صدور هذا الكلام منه، إذ أن فيه من الخلط والعفوية ما لم نعهده في الدكتور الذي تعلمنا منه الدقة في التعبير والبعد عن المجازفة في إصدار الأحكام.

وإلا فما معنى قوله إنها لم تستسغ حتى الآن عصر الآلة الحديثة وهو يعني حتى صدور كتابه هذا الذي صدر منذ ثلاثة أعوام فقط.

فمن في الدنيا كلها بطولها وعرضها يسمح لنفسه أن يصدر مثل هذا الحكم على دولة يعرفها العالم كله ويعرف مدى التقدم الذي أحرزته في استخدام الآلات الحديثة بكل أنواعها.

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٨.

إن الطفل الآن في السعودية يقود السيارة ويعرف كل أجهزتها وقطع غيارها، وشباب السعودية الآن هو الذي يقوم بمعظم الأعمال الفنية في شركة أرامكو بالدمام^(١).

ولست أدري هل حكمه هذا حكم على الحركة نفسها أو على أتباعها المؤمنين بها، فإن كان يعني الحركة نفسها فهو غير صحيح، إذ ليس في مبادئها محاربة ما يستحدث من الصناعات أو ما يكتشف من الاختراعات، بل إنها تؤمن بقبول الحياة المادية للتطور، ما دام الكون كله بما فيه من قوى مسخراً للإنسان كما نطق بذلك القرآن، ولا ترى مانعاً من الاستفادة من كل تطور يحدث، مادام لا يتعارض مع المبادئ الأساسية للإسلام.

وإن كان يعني القائمين بالحركة والمؤمنين بها فهو غير صحيح أيضاً. فإن استخدام السعوديين للآلات الحديثة بجميع أنواعها وانتفاعهم بكل ما أنتجته الحضارة، أمر يعرفه العام والخاص، إلا أن يكون دكتورنا الذي ما زال يظن أن السعوديين يعيشون حياة صحراوية يركبون فيها الجمل ويستدفنون بالخشب ويطبخون على الأثافي.

أما قول سعادته إن الدعوة إلى القرآن والسنة قصد بها أولاً وبالذات سير الحياة الإسلامية في ظل تعاليم الإسلام فهذا صحيح. فإن

(١) شركة أرامكو السعودية أكبر شركة في العالم في مجال صناعة البترول ومشتقاته. والشيء بالشيء يذكر فأنا أعرف العم عبدالله بن ناصر بن إبراهيم بن محمد العبد الكريم حفظه الله ورعاه من أهالي مدينة حزمه بالمملكة العربية السعودية وهو يعمل في هذه الشركة العملاقة من عام ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م أي من قبل تسعة وخمسين عاماً في مجال هندسة الميكانيكا قبل أن يعرف شباب كثير من الدول العربية والإسلامية الهندسة، وهذا دليل أن رجال السعودية أثبتوا جدارتهم، وعمق صلتهم بهذه الدعوة الإصلاحية، وأنهم في المقدمة مع الدول الحضارية، وهذا مشاهد لكل منصف واضح للعيان إلى عامنا هذا ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

الإسلام إنما شرع منهجاً للحياة فلا بد من إقامة الحياة كلها على أساسه إذا أريد أن تكون أفضل حياة.

ولكن ما معنى قول سعادته بعد ذلك: " وفي صحبة الحضارة الصناعية التي لا بد منها الآن .. الخ". فما دخل الدعوة إلى القرآن والسنة بالحضارة الصناعية وبناء حياة الشعب عليها؟

إن الحضارة الصناعية نوع من الترف في أساليب المعيشة، ومحاولة لتخفيف مشقاتها، وهذا شيء لا دخل له بالدعوة إلى تطبيق القرآن والسنة، فهو خلط لا معنى له.

صحيح أن الإسلام يبيح لمعتنقيه أن يأخذوا بأساليب الحياة الصناعية الحديثة، أما دعوى أن هذا لا بد منه في الإسلام فهي دعوى لم نسمع أحداً من مفكري الإسلام قد ادّعاها قبل الدكتور. وما رأى سعادته لو أن شعباً مسلماً أحسن التطبيق لمبادئ الإسلام ولكنه اقتصر في حياته المعيشية على الوسائل البسيطة وبعض الصناعات البدائية الموجودة عنده، ولم يستورد شيئاً مما استحدثت من الصناعات، ولا أخذ بأساليب الحياة العصرية، هل يعد هذا الشعب - في نظر دكتورنا - خارجاً عن الإسلام؟

إقامة نظام الحياة كله على أساس الإسلام:

ثم يقول سعادته: "إن سير الحركة الوهابية من الوجهة الفكرية والعملية الآن، يسند اتجاهها ليس هو الاتجاه صاحب الأثر الإيجابي في نهضة شعب جزيرة العرب، ولا هو كذلك صاحب أثر إيجابي في ربط طوائف الجماعة الإسلامية بعضها ببعض، ولا هو ثالثاً مما يدل على أن الإسلام دين لحكم الجماعة وإصلاح الفرد وأنه يستطيع مواجهة الأحداث وألوان الحياة المختلفة"^(١).

ولست أدري ما الذي يعنيه الدكتور بالاتجاه الذي يسنده سير الحركة فكراً وعملاً؟

ونحن لا نعلم لسير الحركة اتجاهها من الوجهة الفكرية إلا إبراز التصور الصحيح للعقيدة الإسلامية، وإحياء المفاهيم التي انحرفت بتأثير عوامل الهدم في الجماعة الإسلامية، وما أكثرها، وأما من الوجهة العملية فلا اتجاه للحركة إلا الحفاظ على التوحيد وصيانتها من أوضاع الوثنية، وإقامة نظام الحياة كله على أساس الإسلام في كل المجالات من تشريع واقتصاد واجتماع... إلخ

وأما قوله إن هذا الاتجاه الذي تسنده الحركة، ليس هو صاحب الأثر الإيجابي في نهضة شعب الجزيرة، فلعل هذا وجهة نظره هو، وكل حر فيما يراه.

وأما الواقع الملموس فيقول: إن سير الحركة واتجاهها لم يعق أبداً نهضة الشعب، ولا وقف حائلاً دون تقدمه. فمظاهر النهضة واضحة

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٨.

كالشمس يراها كل من له عينان، ويلمسها كل من زار المملكة وشاهد منجزاتها الضخمة في كل مناحي الحياة.

وكم نتمنى أن يقوم الدكتور بزيارة لتلك البلاد العزيزة العتيقة، ليلمس بنفسه أثر تلك النهضة المباركة في كل ما تقع عليه عيناه.

وأما قول الدكتور: "ولا هو كذلك صاحب أثر إيجابي في ربط طوائف الجماعة الإسلامية"، فإن أبلغ رد عليه هو ذلك الدور العظيم الذي يقوم به عاهل الجزيرة حفظه الله في جمع شتات المسلمين وتوحيد كلمتهم، وإذكاء مشاعر الأخوة الإيمانية بينهم، وكان من أثر ذلك السعي المشكور والجهد المبرور، انعقاد مؤتمري الرباط ولاهور^(١)، ثم تلك المؤتمرات المتواصلة لوزراء خارجية العالم الإسلامي، وما تتمخض عنه من قرارات تعود على المسلمين جميعاً بالإعزاز والتمكين.

ثم إنشاء "رابطة العالم الإسلامي" التي تضم ممثلين لمعظم الأقطار الإسلامية، والتي تقوم مشكورة بإمداد المنظمات والهيئات الإسلامية بكل ما تحتاجه من كتب علمية ودينية وعقد المؤتمرات الدورية لتلك المنظمات بمكة، وكان آخرها منعقداً وأنا أكتب هذه السطور. ثم إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي تضم أبناء أربع وثمانين دولة إسلامية، ثم اهتمام جلالته بإنشاء المراكز الإسلامية وتشديد المساجد

(١) واستمرراً لتلك الجهود فإن المملكة العربية السعودية تستقبل في الخامس من شهر ذي القعدة سنة ستة وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة الموافق للسابع من شهر ديسمبر سنة خمس وألفين ميلادي مؤتمر القمة الإسلامية الاستثنائي في مكة المكرمة، نسأل الله جل في علاه أن يجمع كلمة المسلمين على الحق، وأن يؤلف بين قلوبهم بمنه وكرمه وإحسانه.

في جميع أنحاء العالم، ومساعدة الجمعيات الدينية والخيرية في البلاد العربية والإسلامية.

ونذكر الدكتور أيضاً بزيارة جلالته الأخيرة لعدد من عواصم الدول الإفريقية لتفقد أحوال إخوانه المسلمين فيها، وكيف نجح جلالته في تحويل عدد كبير من هذه الدول عن التعامل مع إسرائيل وإلغاء التمثيل الدبلوماسي معها.

وكذلك زيارة جلالته الأخيرة لفرنسا التي كسب فيها لقضية العرب لا تأييد فرنسا وحدها بل تأييد مجموعة دول أوروبا الغربية.

هذا قليل من كثير مما قام به ملك الوهابيين يا سعادة الدكتور.

فهل لازلت بعد ذلك عند رأيك في أن الاتجاه الذي تسنده الحركة ليس هو صاحب الأثر الإيجابي في ربط طوائف الجماعة الإسلامية بعضها ببعض، أم ماذا يا دكتور؟

تجربة الحكم الإسلامي في السعودية^(١):

وأما قول سعادته: " ولا هو ثالثاً لما يدل على الإسلام دين لحكم الجماعة وإصلاح الفرد الخ"^(٢) . فالضمير هنا طبعاً للاتجاه الذي تسنده الحركة، ويبدو لي أنه يريد به الحكم الملكي السعودي، وأنه حكم لا يدل على أن الإسلام صالح لحكم الجماعة ولا لإصلاح الفرد، ولا أنه دين يستطيع مواجهة الأحداث!

(١) ولمزيد من التوسع في هذا الموضوع، انظر مشكوراً كتاب "المجالس المفتوحة و المفهوم الإسلامي للحكم في المملكة العربية السعودية".
(٢) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٨.

وسعادته يقصد- بغير لف ولا دوران- أن تجربة الحكم الإسلامي في السعودية تجربة فاشلة، ولا أظن أحداً من أعداء السعودية أنفسهم يجرؤ أن يدعي مثل هذه الدعوى، لأنه يخشى أن يصبح ضحكة للناس، أو أن يرمى بالعتة والجنون.

فإن الحكم في السعودية بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء أصبح بحمد الله، مضرب المثل في العدل والأمن والإستقرار، بسبب إقامته للحدود الإسلامية، وكل ميزات الحكم الصالح لا تجدها متوفرة في مكان ما من أرض الله إلا في السعودية. وأما إصلاح الفرد، فإن العناية بتنشئة الأفراد تنشئة صالحة، فكرياً وخلقياً ووجدانياً، على أتم ما يكون.

وأما مواجهة الأحداث وألوان الحياة المختلفة، فإن السعودية تكاد تكون الدولة الإسلامية الوحيدة التي استطاعت أن تنتفع بما يستجد من ألوان الحضارة، دون أن تذوب فيها كما فعلت دول إسلامية كثيرة.

بل إنها وقفت منها موقف المسلم الذي يعرف كيف يستفيد مما عند الآخرين، دون أن يضر ذلك دينه أو بأخلاقه أو بعباداته.

ثم يقول سعادته: " إن الفجوة بين الفكرة الأساسية للحركة الوهابية وبين التطبيق العملي في حياة المؤمنين بها فجوة واضحة.

إن مجال الفكر الوهابي والعقيدة الوهابية مجال القراءة والترديد إنه مجال الاصطناع والاحتراف بها في غير بناء وفي غير ملاءمة".

ولا نظن أن مثل هذا الكلام قد صدر من الدكتور وهو في حالة اتزان أبداً. بل لابد أن يكون قد كتبه تحت حالة انفعالية شديدة. فلقد بدأ فيه كثورٍ هائج لا يقذف خصومه بالكلمات فحسب بل بالطوب والحجارة.

إنه كلام كان يجب أن يحاكم عليه الدكتور وأن يتحمل تبعته وعقابه.
إنه يرمى الوهابيين أولاً بالنفاق وأنهم يقولون ما لا يفعلون، ويتخذون
من الدعوة شعاراً لا أثر له في التطبيق العملي والحياة الواقعية.
ثم يرميهم ثانياً بالجهل وأنهم يقرءون ما لا يفهمون، ويرددون عبارات
لا يعرفون مدلولاتها.
ثم يرميهم ثالثاً بالتسول واتخاذ الدعوة مجالاً للاحتراف والتأكل بها،
أليس كذلك يا دكتور؟

منهج فكر وخطة حياة:

ولكن الحقيقة التي حجبها الغضب والانفعال عنك، على عكس ما
تقول تماماً في اتهاماتك الثلاثة، فلا توجد فجوة أصلاً بين المجال
النظري للحركة الوهابية وبين التطبيق العملي للمؤمنين بها، بل لا
نعرف حركة إسلامية كانت أمينة على مبادئها وملتزمة بها في مجال
التطبيق مثل الحركة الوهابية، ولعل هذا هو الذي ضمن لها البقاء
والرسوخ، فقد أصبحت منهج فكر وخطة حياة وجزءاً من كيان
المؤمنين بها، ولم يكن مجال الفكر الوهابي والعقيدة الوهابية هو مجال
القراءة والترديد كما يدعى الدكتور، بل هو مجال الفهم السليم والإيمان
الواعي والدعوة الصادقة.

ولقد ظهر في حقل الدعوة علماء لهم وزنهم في رجاحة الفكر وفصاحة
القول وجودة التأليف، وكذلك لم تكن الوهابية في يوم من الأيام صنعة
ولا احترافاً، بل كانت دعوة رجل تجرد من كل هوى وعصبية، ثم قام
بها مخلصاً لربه لإنقاذ أمته لما تردت فيه من ردغات الضلال.

ثم حملها من بعده الأبناء عليها من أبنائه وأحفاده وتلامذته وأنصاره، وكان السيف السعودي من ورائهم يشد أزهرهم ويحوط حركتهم.

وكان هذا من لطيف صنع الله لهذه الحركة، أن جمع لها السيف والقلم واللسان، فأتت أكلها شهياً، ومضت إلى غاياتها قدماً، لا يعوقها استبداد حاكم ولا عسف سلطان.

والعجب من الدكتور الذي يقسو على الوهابية في نقده إلى حد الإقذاع، لم نره كتب ولا مرة واحدة ضد خصومها من القبوريين والصوفية ونحوهم، بل يلوم الوهابية على أنها لم تسع للتقارب معهم.

فأي منطق هذا يا دكتور؟

ثم يقول سعادته: "أما حياة الجماعة الوهابية فإنها على نحو حياة أية جماعة إسلامية أخرى تسير في عزلة عن الفكر والآراء الإسلامية، وتخضع في تحركها وفي سيرها إلى عوامل مرددة بين اتجاهات شرقية وأخرى غربية وبين عادات وتقاليد لا يحددها مصدر واحد".

والدكتور هنا يرمي كل الجماعات الإسلامية، بما فيها الحركة الوهابية، بأنها تسير في عزلة عن الفكر والآراء الإسلامية.

ولست أدري ما الذي يعنيه بالفكر والآراء التي تعيش الجماعات الإسلامية في عزلة عنها؟ هل يعني بها مثلاً آراء المتكلمين والفلاسفة والصوفية، تلك التي شوهدت جمال العقيدة الإسلامية وأخرجتها عن نقائها وبساطتها، وجنت عليها بتلك التعقيدات الفكرية والشطحات الصوفية.

وإذا فما حاجة الجماعات الإسلامية إلى تلك الفكر والآراء العفنة لكي تتصل بها وتعيش عليها؟

وإن عني بها الأفكار السليمة والآراء المستقيمة التي تمخضت عنها عقول لم تنحرف ولم تفسد بالهوى والتقليد الأعمى، مثل أفكار الشيخين الجليلين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، فلا شك أن الحركة الوهابية لا تسير في عزلة عن هذه الفكر والآراء، بل هي على صلة تامة بها.

هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه:

وأما قوله إن الحركة تخضع في تحركها إلى عوامل مرددة بين الشرق والغرب فاتهم باطل لا أساس له، فإن هذه الحركة لم تخضع طول عمرها، ولن تخضع إن شاء الله، فيما بقي من عمرها، لأية عوامل بعيدة عن الإسلام شرقية كانت أو غربية.

وكذلك لا تعرف من العادات والتقاليد إلا ما يقره الإسلام.

وبالجملة فلا مصدر لهذه الحركة في جميع اتجاهاتها إلا شيء واحد لا تريد فيه، هو الوحي النازل من السماء قرآناً كان أو سنة، فهي لا تنحرف عنه لا شرقاً ولا غرباً، متمثلة دائماً قول الله تعالى من سورة الأنعام: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (الأنعام: ١٥٣)

ثم يقول سعاده: "وكان المؤمل في معانقة السلطة الرسمية لها أن تتميز عن أي حركة إسلامية أخرى بالتطبيق العملي، وفقاً للفكرة

الأصلية السلبية والإيجابية معاً. وأن تكون حياة الجماعة التي آمنت بها عنواناً تتجلى فيه فكرة الداعي كما آمن بها وتركها من بعده". وهذا الذي يؤمله الدكتور هو الواقع فعلاً، فإن معانقة السلطة الرسمية للحركة قد حماها من العواصف الرديئة التي قد تتعرض لها الجماعات الإسلامية الأخرى.

فاستطاعت الحركة في ظل هذه الحماية أن تسير بخطوات ثابتة نحو هدفها، وأن يكون تطبيقها العملي متناسقاً مع الفكرة الأساسية للحركة، وأن تكون حياة الجماعة التي آمنت بها عنواناً صادقاً للمبادئ التي أعلنها مؤسس الحركة- رحمه الله- وآمن بها، ولم يقع فيها خلف أبداً، لا بين المجال النظري والتطبيق العملي، ولا بين حياة الجماعة ومبادئ الداعي، كما يقع في بعض الجماعات الأخرى بسبب الضغط الواقع عليها من قبل السلطات.

أكبر عملية بناء علمي في هذا العصر:

ثم يقول سعادته: " إن التآخي بين تعاليم المذهب الوهابي والسلطة الزمنية في المملكة العربية السعودية طبقاً للعهد الذي وقع بين الشيخ والأمير سنة ١١٥٧هـ كان يحتم إبعاد الثنائية في التعليم في هذه المملكة وتوزيعه بين ديني ومدني^(١).

والواقع الذي خفي على الدكتور أنه لم يكن هناك ثنائية في التعليم، بل تعليم نظامي، منذ وقع العهد بين الشيخ والأمير -رحمهما الله- إلى أن أنشئت أول مديرية للتعليم سنة ١٣٤٤هـ، أي بعد نحو سبعين ومائة سنة من توقيع العهد المذكور.

وكان التعليم كله في تلك الحقبة دينياً يتلقاه الطلبة على الشيوخ في المساجد على غرار ما كان موجوداً في مصر بالنسبة للأزهر وبعض المساجد الكبرى، ثم أنشأت مديرية المعارف بعض المعاهد النظامية في مكة والرياض وبعض المدن الكبرى في نجد والقصيم مثل عنيزة وبريدة والمجمعة وشقراء.

وكانت تستجلب لها الأساتذة من الأزهر أيام أن كان سعادة الدكتور مديراً للبحوث، وظلت الحال على ذلك إلى أن أنشئت وزارة المعارف سنة ١٣٧٣هـ.

ولم يكن هناك وقتئذ سوى مدرستين ثانويتين إحداهما بجدة والأخرى بمكة، فاضطرت الوزارة لكي تلحق بركب الدول المتحضرة أن تجد في

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٩.

إنشاء المدارس وإدخال العلوم الحديثة على مناهجها إلى جانب المواد الشرعية والعربية.

ومع ذلك احتفظت بالمعاهد التي كانت قد أنشأتها مديرية التعليم لكي تمد الكليات بحاجتها من الطلبة.

وكان سير الوزارة في هذه السبيل ركضاً شديداً بل قفزاً، حتى استطاعت في مدى عشرين سنة فقط أن تنشئ ألفي مدرسة في مراحل التعليم المختلفة، أي بواقع مائة مدرسة كل سنة.

وبذلك لحقت المملكة بكل من سبقها بل تفوقت على الكثير ممن سبقوها، وأصبح فيها الآن نهضة علمية تعتبر معجزة إذا نظر إلى العوائق الكثيرة التي كانت قائمة والتي من أهمها اتساع رقعة المملكة وتباعد مدنها وقراها بمسافات شاسعة.

ومع ذلك تحققت بفضل الله ثم بهم العاملين في حق التعليم وعلى رأسهم الوزير العالم الأديب والدعوب الطموح معالي الشيخ حسن ابن عبد الله آل الشيخ أمدّه الله بعونه^(١)، أقول تحققت أكبر عملية بناء علمي في هذا العصر، وعمت المدارس كل قرى المملكة من أقصاها إلى أقصاها، وأصبحت فرصة التعليم متاحة لكل المواطنين.

والآن لا يوجد إلا تعليم ابتدائي واحد تدرس فيه كل المواد الدينية من عقيدة وفقه وغيرهما، ولا يوجد كذلك إلا مرحلة متوسطة واحدة.

(١) هو حسن بن عبدالله آل الشيخ، ولد في المدينة النبوية، وتخرج من كلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٧٣ هـ وشغل عدداً من المناصب الحكومية، منها وزارة المعارف. ثم أصبح وزيراً للتعليم العالي منذ إنشائها، وبقي فيها وزيراً حتى وفاته رحمه الله تعالى عام ١٤٠٧ هـ. انظر مشكوراً: تنمة الأعلام للزركلي "لمحمد خير رمضان يوسف : (١٣٣/١).

وأما المرحلة الثانوية فرغم انقسامها إلى معاهد ومدارس فهي متقاربة المناهج، لاسيما بعدما أدخلت العلوم الحديثة على المعاهد.

وعلى كل حال فإن هذه الثنائية التي يزعمها الدكتور لو وجدت فرضاً لم تكن على حساب الدين أبداً، ولم يكن الغرض منها أن يكون للسلطة الرسمية فريق من الطلبة وللوهابية فريق، كما كان يحصل في البلاد التي منيت بالاستعمار.

ولكن كان لذلك ظروف وأسباب اقتضت هذا الوضع مع ولاء الكل للحركة الوهابية وللبيت السعودي، فلا فرقة ولا ازدواج.

ثم يقول سعادته: "وهناك انفصالية أخرى في دائرة التعليم النظري نفسه بين هذه التعاليم والثقافة الإنسانية".

وهذه الانفصالية أيضاً من بنات خيال الدكتور.

فإن الثقافة الإنسانية بكل فروعها من تربية وعلم نفس وجغرافيا وتاريخ وغيرها، تدرس الآن بالمدارس والمعاهد والكليات السعودية.

ويوجد بمكة المكرمة كلية خاصة للتربية تابعة لجامعة الملك عبدالعزيز^(١).

بل إنه ليوجد الآن في السعودية من الأساتذة المتخصصين في كل فروع الثقافة الإنسانية ما لا يكاد يوجد في أي بلد إسلامي آخر.

(١) كلام الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله تعالى هذا عام ١٣٩٢هـ، سنة الرد على الدكتور محمد البهي رحمه الله تعالى. وإلا فالأمر كما قلت سابقاً، أنه يوجد في المملكة العربية السعودية ثلاثة عشر جامعة، وكل جامعة تتضمن عشرات الكليات بمختلف التخصصات الشرعية والعلمية والمعرفية.

والمملكة - حرسها الله ووقاها شر الحاقدين - لا تبخل في هذه السبيل بشيء من المال، بل تنفق بسخاء في استقدام أقوى الأساتذة وأكفأ المدرسين.

كما أنه يوجد عشرات بل مئات من أبناء المملكة في جامعات أوروبا وأمريكا يحضرون للدكتوراه في كل فروع المعرفة، فضلاً على من تخرج منهم واشتغل بالتدريس أو الإدارة في جامعاتها وهم يعدون بالعشرات أيضاً.

ولن يمر وقت طويل حتى تسد المملكة حاجتها من ذوي الرتب الجامعية العالية بل وتصدر لغيرها من شقيقاتها العربية والإسلامية^(١).

الوهابية آخذة بكل أسباب الحياة:

ثم يقول سعادته: " وإذا تعاليم المذهب الوهابي كتعاليم الدين الإسلامي في أي بلد إسلامي آخر في عزلة عن الحياة وعزلة عن التعليم العام.

(١) بل إنها صدرت والله الحمد والمنة عشرات الأساتذة الزائرين، لبعض الجامعات الأمريكية والأوروبية دكاترة معلمين.

وليس هناك أثر علمي لميزة التآخي بين الدعوة والسلطة لا في مجال التطبيق ولا في مجال التعليم العام^(١).

ويظهر أن الدكتور أراد أن يلخص رأيه في الوهابية بهذا النص الذي ليس مسك ختام، والذي لا يعقل أن يكون صدر أبداً عن نفس متجردة من الهوى والغرض.

ونسأل الدكتور البليغ عن هذا التشبيه في قوله: "إن المذهب الوهابي كتعاليم الدين الإسلامي" فهل للمذهب الوهابي تعاليم غير تعاليم الدين الإسلامي حتى يصح ذلك التشبيه؟

أم يريد أن يقول: إن حظ المذهب الوهابي من تعاليم الدين كحظ أي بلد إسلامي آخر، ثم يرمي الجميع بالعزلة عن الحياة والعزلة عن التعليم العام.

ونحن لا نسلم له أولاً أن حظ الوهابية من الدين كحظ غيرها من البلاد الإسلامية، فشتان بين حركة قامت لتصفية الدين من الشوائب والأكدار الدخيلة، وبين مذاهب منحرفة لم تعرف الدين إلا من خلال آراء مستحدثة وفلسفات دخيلة.

ولا نسلم له ثانياً بأن الوهابية في عزلة عن الحياة بل هي آخذة بكل أسباب الحياة، كما أنها مصدر حياة الملايين المؤمنين بها ولا يرون الحياة الحقّة إلا في ظلها.

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٩٠ .

وأما إن أراد بالحياة حياة الغرائز الدينا، والمتع الرخيصة، والتمدن الكاذب الذي تردت فيه كثير من بلاد الإسلام، فإن الوهابية تربأ بنفسها وبأهلها عن مثل تلك الحياة.

ولا نسلم له ثالثاً أن الوهابية في عزلة عن التعليم العام، بل هي تأخذ بكل علم نافع وتلتقط الحكمة أنى وجدتتها.

الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل:

وبعد فهذا مقال الدكتور محمد البهي عن الوهابية:

ويؤسفني أن أقول إنه لم يصب ولم يوفق في شيء مما قاله، وإنما كان يبدو مدفوعاً إلى كتابته، وكان التحامل هو الطابع العام للمقال من أوله إلى آخره.

ولقد أساء الدكتور بهذا المقال إلى نفسه أولاً حيث ورطها في أخطاء ظاهرة الشناعة، ثم أساء إلى الحقيقة في نفسها حيث ظلمها وتجنى عليها.

فهل للدكتور - في ضوء تعقيبنا على مقاله - أن يراجع نفسه ويرجع عما قاله عملاً بالمثل القائل إن الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل، هذا ما نرجوه.

والله نسأل أن يهدينا جميعاً سبيل الحق والإنصاف، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه ولي التوفيق.

د. محمد خليل هراس

رئيس قسم العقيدة بالدراسات العليا

بكلية الشريعة بمكة المكرمة

٢	بين يدي الكتاب
١٣	ترجمة المؤلف
١٨	مقدمة
٢٠	نشأة الحركة الوهابية
٢٢	الحركة الوهابية تدعو إلى توكيد التوحيد
٢٥	الحركة الوهابية تدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة
٣١	الجاهلية الأولى والجاهلية الثانية
٣٢	وثنية الأموات ووثنية الأحياء
٣٣	مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين من الأئمة المهديين
٣٥	حركة لم تقم للهدم بل للبناء
٣٦	الخصومة المذهبية ليست من فعل هذه الحركة
٣٨	الوهابية والتراث الإسلامي
٤١	ليس تقليداً بل موافقة الحق للحق
٤٢	مفخرة من مفاخر هذه الدعوة
٤٥	حركة امتازت بالإحياء والتجديد
٤٧	في هذا الكلام خطأ
٤٩	تأثير هذه الدعايات المغرضة

- ٥٠ حركة إصلاحية أم أكاديمية علمية
- ٥٣ الحركة الوهابية والفكر المعاصر
- ٥٤ الحركة العلمية في المملكة السعودية
- ٥٥ حركة جاءت للتصحيح
- ٥٨ الحركة الوهابية بين المجال النظري والتطبيق العملي
- ٥٨ الدعوة وتفسيرها التطبيقي
- ٥٩ ما هو الإسلام الواضح
- ٦١ الإسلام والحضارة والصناعة
- ٦٤ إقامة نظام الحياة كله على أساس الإسلام
- ٦٦ تجربة الحكم الإسلامي في السعودية
- ٦٨ منهج فكر وخطة حياة
- ٧٠ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه
- ٧٢ أكبر عملية بناء علمي في هذا العصر
- ٧٦ الوهابية آخذة بكل أسباب الحياة
- ٧٧ الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل